الآداب الأجنبية

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

العـدد ٢٢ ـ السنة السادسة ـ تشرين الأول ١٩٧٩



الآداب الأجنبية

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

العدد ٢٢ ـ السنة السادسة ـ تشرين الأول ١٩٧٩

الادارة، اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ شارع مرشد الخاطر
هاتف ٤٤٦٧٠٠ ـ المراسلات باسم رئاسة التحرير ص ب ٣٢٣٠ دمشق

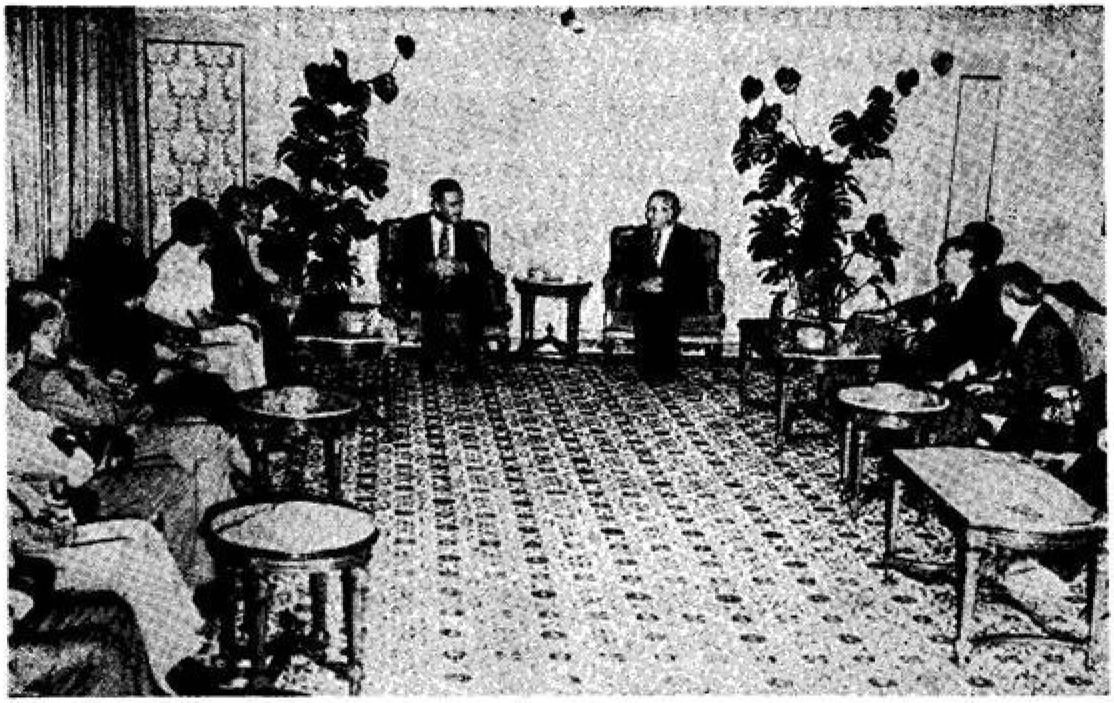
تصميم الغلاف : نذير نبعه

* جميع المراسلات تكون باسم رئيس التحرير .

* تتوجه رئاسة التحرير الى الادباء والمترجمين في الوطن العربي لتزويدها بمواد مترجمة من الادب العالمي في مجالات القصة والشعر والمسرحية والنقد والبحث الادبي ، وتقديم او تلخيص الكتب ذات الشهرة والفائدة الفنية والفكرية . ويرجى من الاساتذة الذين يرسلون المواد المترجمة أن يرفقوها بالاصل ، من أية لغة كانت ، أو الاشارة الى مرجعها اذا كان مشهورا . وتعتذر الادارة عن اعادة هذه المواد سواء نشرت او لم تنشر .

الرئيس حافظ الأسد

يستقبل مجلس اتحاد الكتاب العرب



استقبل السيد الرئيس حافظ الأسد ظهر الخميس في ١٩٧٩/٩/٢٠ مجلس اتحاد الكتاب العرب في القطر برئاسة الاستاذ علي عقله عرسان رئيس الاتحاد ، وناقش مع السادة أعضاء المجلس شؤون الاتحاد ونشاطاته والمهمات التي تقع على عاتقه كمنظمة شعبية لها دور هام في مضمار التوعية وبناء الإنسان .

وتحدث السيد الرئيس الى اعضاء المجلس حديثاً مستفيضاً عن دور الكاتب والأديب في المشاركة في البناء الوطني والقومي ودورهما في التوعية وتعزيز الصمود في مواجهة الاخطار التي يتعرض لها الوطن والأمة .

وفي معرض حديث السيد الرئيس عن الحرية ومفهومها شاركه السادة اعضاء مجلس الاتحاد الرأي بأن الحرية في سورية هي في مستوى

متقدم بالنسبة لبلدان العالم وبأن المجال مفتوح على سعته أمام الكتـاب وأجهزة الاعلام لممارسة النقد الايجابي والمسؤول ، وهي تمارسه فعلا الى ابعد الحدود .

ونوه السيد الرئيس في هذا الصـدد بالحريات المتوفرة للكتاب والفنانين والمفكرين وممارستهم هذه الحريات . وأكد على أهمية ممارسة الكتاب دورهم من خلال المؤسسات وأعرب عن الاستعداد لتقديم كل الدعم الممكن لاتحاد الكتاب العرب . وأكـد السيد الرئيس أن كل مسؤول في الدولة يملك صلاحيات ومسؤولية تامة في حدود مسؤولية عمله وأنه ليس هناك شخص محمي أيا كان عند ارتكاب الخطأ .

واستعرض السيد الرئيس الاوضاع في الوطن العربي واهم القضايا الدولية كما استعرض عملية البناء الداخلي وما تشمله من إقامة المنشآت العديدة وتطور هذه العملية وما تحقق من خلالها في مضمار دعم الاقتصاد والتنمية في مختلف مجالاتهـا .

وفي مجال هذا العرض اكد السيد الرئيس على خط سورية القومي الوحدوي وعلى استمرار البناء الاشتراكي وأكـد ايضاً على التصميم على مقاومة كل الضغوط التي ولدتها مؤامرة كامب ديفيد .

وقال السيد الرئيس ان سورية ستظل كما كانت الدعامة الرئيسية في صمود الامة العربية وستبقى ثابتة في خطها القومي متحملة كل الاعباء التي يرتبهـا هذا الموقف والمسؤوليات الناجمة عنه .

وأوضح السيد الرئيس أن الذين يسيئون الى الوطن والى صموده يجب الا يتهاون احد معهم ، بل أنهم مرفوضون تاريخياً من قبل جماهير شعبنا .

واعرب الاستاذ على عقله عرسان باسم اعضاء المجلس عن الشكر العميق للسيد الرئيس الذي اتاح لهم فرصة هـذا اللقاء وزودهم بهذا الشرح المستفيض والتفسير القيم للأحداث والأوضاع في الداخل والخارج وقال ان هذا يرتب على الكتاب التزامات كبيرة هم على أتـم الاستعداد للنهوض بها ، كما أعرب عن تقديـر الكتّاب لوعد السيد الرئيس بعقـد اجتماعات قادمة معهم لمناقشة قضايا الساعة ومسائل التوجيه الفكري ، وقال .. ان الكتاب يشاركون السيد الرئيس الرأي بأن حرية الكاتب لا تنفصل عن التزامه بالواجب في اطـار العمل الوطني والقومي .

الشاعر الإيطالي
ليوناردو سنيسغاللي

د. عيسى الناعوري

الشاعر الايطالي ليوناردو سنيسغاللي واحـد من أبرز شعراء ايطاليـا المعاصرين • ولد سنة ١٩٠٨ ، وبعد أن تلقى دروسه الاعدادية والثانوية في مدينتي (كازيرتـا ــ Caserta) و (بنيفينتو ــ Benevento) انتقل الى روما سنة ١٩٢٦ ، ودرس الهندسة الالكترونية والصناعية في جامعتها ، وتخرج فيها سنة ١٩٣٢ • وفي الوقت نفسه راح يغذي ميوله الأدبية بالكتابة في مجلة (المعرض الأدبي ــ La Fiera Letteraria) ويتصل بالمحافل الأدبية والأوساط الفنية في العاصمة •

وأدى ليوناردو الخدمة العسكرية، فلما أنهى الخدمة في مدينتي (لوكا ــ Lucca) وروما ، استقر في ميلانو سنة ١٩٣٣ • ومع استمراره في الحياة الأدبية والشعرية ، راح يعمل في الرسم والهندسة وأعمال الدعاية • وتولـى ادارة مكتب الدعاية في مصنع شركة (أوليفيتي ــ Olivetti) • وفي سنة ١٩٤٠ دعي الى الخدمة العسكرية مرة ثانية ، وأرسل الى جزيـرة سردينيا ، وبقي فيها الى سنة ١٩٤٢ ، ثم نقل الى القيادة العامة في روما • فلما انتهت

الحرب العالمية الثانية ، راح يشارك في برامج الاذاعة والتلفزيون ، ولا سيما برنامج (مسرح العندليب) كما عمل في انتاج برنامجين آخرين ، هما (دروس في الهندسة) و (واحد في الألف من المليمتر) وقد فاز هذان البرنامجان بجائزتين دوليتين في البندقية •

وفي سنة ١٩٤٨ عاد الى ميلانو من جديد مستشارا لشركة (بيريللي ـ Pirelli) ومديرا لاحدى المجلات • ثم عاد الى روما من سنة ١٩٥٣ الى سنة ١٩٥٩ ، وأنشأ هناك مجلة (حضارة الآلة ـ Civilta' delle macchine) وفي سنة ١٩٥٩ عهد اليه بادارة خدمات الدعاية لشركة (ايني ـ ENI) •

فاز بجائزة (اتنا ـ تاورمينا) الأدبية سنة ١٩٦١ • وبعد ذلك عمل مستشارا في شركة الطيران الايطالية (آليطاليا)، وأنشأ مجلة دعاها (التخطيط ـ Design) لأحد مصانع الأثاث •

ويقيم سنيسغاللي الآن في روما ، بعد أن تخلى عن العمل ، مواصلا انتاجه الأدبي والشعري • وأعماله الأدبية كثيرة جداً ومتنوعة ، وللشعر منها حظ كبير • وكان أول من اكتشف شاعريته وأشاد بها ، ولفت اليه الأنظار في الثلاثينات من هذا القرن ، الشاعر الكبير (جوزيبي أونغاريتي ـ G . Ungaretti) الذي كان الايطاليون يدعونه باسم (الشاعر ـ Il poeta) تمييزا له عن غيره من الشعراء المعاصرين ، وتقديرا لشاعريته الفذة •

والايطاليون يعتبرون سنيسغاللي واحدا من رواد المدرسة (الهرميتية ـ

(Ermetismo) التي كان أونغاريتي خالقها في ايطاليا وزعيمها •

من أعمال سنيسغاللي الشعرية العديدة نذكر هنا ما يلي :

١ ــ رأيت ربات الشعر ــ (Vidi Le muse) قصائد ١٩٣١ ــ ١٩٤٢

٢ ــ مقابر اليزي الجديدة ــ (I nuovi campi Elisi) قصائد ١٩٤٢ ــ ١٩٤٧

٣ ــ الكرم القديم ــ (La vigna vecchia) قصائد ١٩٤٧ ــ ١٩٥٦ •

٤ ــ عمر القمر ــ (L'eta' della luna) قصائد ١٩٥٦ ــ ١٩٦٢ •

٥ ــ الدوري والأبرص ــ (Il passero e il lebbroso) قصائد ١٩٦٢ ــ ١٩٧٠ •

٦ ــ نسيان ــ (Dimenticatoio) قصائد ١٩٧٥ ــ ١٩٧٨ •

٧ ــ ذباب في الزجاجة ــ (Mosche in bottiglia) قصائدلم تنشر بعد•

وأما انتاجه النثري فكثير خصب ، وكل أعماله الأدبية أعيد طبعه مرارا • وقد أصدرت دار (موندادوري ــ Mondadori) للنشر في ميلانو ــ ناشرة القسم الأكبر من أعماله الأدبية ــ مجموعة كبيرة من قصائده ، اختارتها سنة ١٩٧٤ من مختلف مجموعاته الشعرية ، ونشرتها في كتاب واحد ، قدم له الكاتب (جوزيبي بونتيجيا Giuseppe Pontiggia) بدراسة موسعة ضافية حول شعره وتطوره • وهذه الدراسة النقدية الواسعة تجعلنا نسير مع الشاعر في مختلف مراحل حياته الشعرية ، وتضع في يدنا المفتاح الذي يفتح لنا الباب لنعيش مع الشاعر ، ونستمتع بقراءة شعره وتذوقه • وكذلك شاء الشاعر نفسه ، في مقدمة ديوانه (نسيان) ــ وهو أحدث دواوينه ــ أن يضع في يدنا

مفتاحا آخر للمرحلة الأخيرة من تطوره الشعري ، وكيف صار يفهم الشعر ويكتبه في الطور الأخير من حياته .

وهذه المقدمة مهمة جدا لفهم الشاعر في ديوانه الأخير ، الذي أصبح فيه الشعر عنده خطرات سريعة وأفكارا عجلى ، يكتبها في سطور قليلة جدا ، قد لا يستسيغها القارىء العربي ، وقد لا يجد فيها شعرا حقيقيا ، ولكنها مع ذلك لون من الشعر الغربي الحديث ، قد لا تتجاوز القصيدة منـه الشطرين أو الثلاثة . ومن ذلك ، مثلا ، ما يلي :

١ ـ قصيدة (النار المشتعلة ـ Il fuoco acceso)

النار المشتعلة
هي صديق بعيد

٢ ـ قصيدة (الرفيق الشرير ـ Cattivo compagno)

الرفيق الشرير
لديه نبـأ سار
يخفيـه عنك

٣ ـ قصيدة (الرفيق الشرير ـ ٢)

عند رؤية الكنز
يطلب اليك أن تدير وجهك

٤ ـ قصيدة (النار تدعونا ـ Il fnoco ci chiama)

النار تدعونـا ، تتكلم

تريد أن تفضي الينا بنبأ سار

مثل هذه النماذج هو مجرد خواطر سريعة عابرة ، لايرى العربي ــ الذي ألف المطولات الموزونة المقفاة ــ لدى قراءتها شيئا من الشعر ، لأن الشعر العربي لم يأت قط بمثل هذه الطريقة • غير أن أحدث ما وصل اليه الشاعر الايطالي سنيسغاللي في شيخوخته من مفهوم الشعر هو هذا الضرب من الكلمات التي « لا يدفن الشاعر نفسه تحت ركامها » ، بل يكتفي منها بما يعبر بسرعة عن فكرته أو عن الصورة التي في نفسه • ومثل سنيسغاللي كثير من الشعراء الايطاليين ، والغربيين عامة • ومن قبله كان لشاعر ايطاليا الأكبر في العصر الحديث ، جوزيبي أونغاريتي ، (قصيدة) مشهورة جدا في ايطاليا، تتألف من كلمتين فقط ، هما :

M'illumino
d'immenso

وترجمتها : استنير
باللانهائي

والواقع أن الشاعر الغربي اليوم لم يعد يهمه عدد الكلمات أو الأسطر التي تتألف منها القصيدة ، بمقدار ما يهمه ما تتضمنه الكلمة من صور وايحاءات نفسية • فأنت حين تقول : « أستنير باللانهائي » ، وتطلق خيالك مع ايحاءات الكلمتين الصغيرتين الكبيرتين في آن واحد ، تعيش جوا شاعرياً من الخيالات التي يوحي بها (النور) و (اللانهاية) وما بينهما من آماد لا يحصرها حد • وهي صور غير محدودة ، ومترقرقة بجمال لانهائي • وهذا ما أراده الشاعر أونغاريتي ، وهذا ما أدركه قراؤه ، فكان لقصيدته هذه ما لها من شهرة

واسعة لدى الايطاليين • وفي شيخوخة أونغاريتي ، جاءت مجموعته الشعرية الأخيرة (مفكرة الشيخ ــ Il Taccuino del vecchio) وكل قصائدها تقريبا من الخطرات القصيرة ، القليلة الكلمات والأسطر •

وشاعرنا سنيسغاللي يبرر للقراء لجوءه الى هذا الاسلوب ، فيقول في مقدمة كتابه (نسيان) :
« مؤلفاتي الأولى غلبت عليها روح الهندسة ــ حس القياس والموقع ــ أي الاهتمام بالتجانس الهندسي ووحدة الصياغة • ومنذ أواخر الخمسينات بدأت بالتخلي عن المادة التعبيرية ، التي فقدت التلاحم والثبات ••• وهذه المجموعة الأخيرة تجيء لتحل باصرار محل القاعدتين الكلاسيكيتين : الدقة والتشابه » •

ويذكر أنه قضى ثلاث سنوات وهو يكتب قصائد هذه المجموعة ، وفي كل مرة يمحو ما كتبه ويعيد كتابته من جديد •

ويقول أيضا : « ان الحياة دائما تقلد الحلم في عدم نظامه ، الذي يظل ينمو مع تمادي العمر • وقد كان هذا مدعاة دهشة كبيرة لي • كنت أحسبني قد اكتسبت الوضوح ، غير أن التعقيد نما لديّ ••• لقد بلغت وأنا أكتب هذا الكتاب الى عتبة الستين ، وكثير ما انتابني شعور بالموت ، وبأنني قد متّ فعلا • لقد مر الزمن سريعا ، ومرت بي ظروف أصابتني بعمق وقلبت أوضاعي ، فلم تعد لديّ طاقة كبيرة على المقاومة • انني أحاول أن أدفن نفسي تحت هذه الأكوام من الكلمات • وهذه المقاطع الأخيرة يبدو أنه ليس بينها وبين الشعر غير القليل من الشبه ، والقليل كذلك من الشبه بالنثر » •

وأما فيما يتعلق بالموضوعات التي يستلهمها شعره ، فيقول :

« الأماكن كانت دائما تسحرني . وما يزال يلاحقني الى الآن ، بعد حياة كاملة ، تذكار تلك الأماكن التي قضيت فيها ولو لحظات قليلة فقط ، والتي مررت بها مرورا عابرا » .

ويقول أخيرا :

« في حالات نادرة تقطر من طرف القلم كأنها وحـــي ألهمتنيه ارادة الله الخيرة ... وهذه القصائد لم تولد غنية حتى تصاب بالفقر . واقتصاري على أقل ما يمكن من الكلمات لم يتم على الورق ، وانما تم في اعماق وعيي » .

هذه المقدمة ـ كما نرى ـ مهمة جدا لكي نفهم قصائد الشاعر سنيسغاللي في مجموعته (نسيان) التي تضم قصائده المكتوبة ما بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٧٨ ، وهي تمثل الطور الأخير من أطوار حياته الشعرية .

ولقد تساءلت أنا نفسي فعلا حين شرعت في قراءة قصائد المجموعـة : « وأين الشعر في هذه الخطرا تالسريعة ، والأفكار العجلى ؟ » . فلما عدت الى المقدمة وقرأت اعترافات الشاعر هذه ، أدركت الحقيقة التي أرادها الشاعر، مثلما أدركت من قبل مفهوم معلمه وصديقه الشاعر أونغاريتي ، وعرفت أنه انما تعمد الاقتصار على أقل ما يمكن من الكلمات بملء الوعي والتصميم ، كما يقول . وكنت في بعض دراساتي للصديق الشاعر الايطالي الراحل (سلفاتوره كوازيمودو ـــ Salvatore Quasimodo) قد قلت أنه « يضع المعاني الكبيرة في أقل مايمكن من الكلمات » .

والشاعر هو الذي يخلق الشعر ، وليس الشعر هو الذي يملي عليه نفسه بأشكال معينة • وكما يتصرف الفنان الرسام بألوان لوحته وخطوطها ، وظلالها وملامحها ، وكما يتصرف الموسيقي الفنان بنوطات سمفونيته وأنغامها، كذلك يتصرف الشاعر الفنان بكلماته ، وبفنه الشعري ، ويهب لوحاته الحياة التي يحسها هو ، والتي يريدها هو • الشعر لا يملى املاء ، ولا يضع له الآخرون القواعد ، لأنه يتدفق من أعماق النفس الشاعرة ، ومن صميم حس الشاعر ، ويولد من أنفاسه ونبضات قلبه ، بالشكل الذي ينبض به قلبه ، وليس للآخرين سوى أن يقبلوه ويتجاوبوا معه ، أو يرفضوه وينكروه • ولا يملك الشاعر أن يقنعهم بالقبول أو بالرفض ، لأن شعره وحده هو الذي يتحدث اليهم •

ونأتي الآن الى الدراسة الضافية التي قدم بها جوزيتي بوتتيجيا لمجموعة المختارات الشعرية التي جمعتها دار (موندا دوري) من دواوين الشاعر ، وأصدرتها سنة ١٩٧٤ •

في هذه المقدمة يروي بوتتيجيا نبذاً من حياة سنيسغاللي الشعرية ، كما رواها الشاعر نفسه في أكثر من كتاب ، وفي أكثر من مقابلة صحفية • فهو يقول : « منذ عام ١٩٢٦ ، حين سجل سنيسغاللي طالبا في كلية الرياضيات في جامعة روما ، « يمكنني القول انني عرفت أياما من الغيبوبة ، ما بين الخامسة عشرة والعشرين من عمرى ، بفضل الرياضيات» • ثم يضيف بوتتيجيا :«ولكي نصل الى أزمة عام ١٩٢٩ ، حين رفض دعوة (فيرمي — Firmi) الى المداومة على معهده الفيزيائي « كان يمكن أن أجد نفسي في فريق الشبان الذين افتتحوا

العصر الذري ، غير أنني فضلت أن أتبع الرسامين والشعراء ، وأتخلى عن النشاطات الاشعاعية الصناعية » •

وينقل بوتتيجيا من كلام سنيسغاللي قوله : «أن اللاشعر هو الأرض الخفية للشعر » • ويعزو شاعرية سنيسغاللي الى العلوم الرياضية التي شغل بها نفسه ، وجعل منها مفتاحا للشعر • وينقل كذلك قوله في رسالة وجهها الى (جانفرانكو كونتيني ـ Gianfranco Contini) : « في عمل الشاعر ، لأجل ولادة الشعر ونموه ، تدخل في اللعبة شحنات من الطاقة لا قياس لها ، وقد تعيش لحظات عابرة جدا ، وتنتهي بنفخة • ومع ذلك ليست ظواهر العالم الفيزيقي هي التي تستطيع أن تقدم لنا ما يشابه هذه النقلات ، بل هي بعض الظواهر البيولوجية العالمية ، وظواهر النواة » •

ويعلق بوتتيجيا على ذلك بقوله : « على كل حال ، ليس المهم تحقيق التقارب اللغوي في العدد والكلمة ، بمقدار ما هو فهم الصلة بينهما ، واكتشاف حدس وحيد وراء كل منهما لما هو حقيقي » •

ثم يؤكد أن سنيسغاللي، بعد اكتشاف الشاعر أونغاريتي له سنة ١٩٣٦ • على أثر ظهور مجموعته الشعرية (١٨ قصيدة) ، وبعد المقدمة التي كتبها أونغاريتي لهذه المجموعة ، والتعليق الذي عقب به عليها الناقد المشهور (دي روبرتيس ـ De Robertis) قد أصبح بين أبرز قادة الشعر الهرميتي في ايطاليا ، الى جانب (بيتوكي ـ وغيتو ـ وسيريني ـ ولوتسي) •

وحول الخصائص البارزة في شعر سنيسغاللي ، يقول بوتتيجيا ان

(لوكانيا) ـ المنطقة التي ولد ونشأ فيها الشاعر ، وبيئتها البدائية الفقـيرة آنئذ ، كانت المدى المفضل في شعره ، ففيها تذكارات والديه الحبيبة، وتذكارات طفولته وحداثته . فهو لذلك يعود الى هذه الأرض اللوكانية في كل كتاب من كتبه الشعرية . ويذكر بوتتيجيا من كلام الشاعر قوله : « هنالك أماكن نود لو نظل مدفونين فيها . ونحن ننطلق بحثا عن هذه الأماكن » .

أرجو أن يكون في هذا الذي نقلته من ايضاحات الشاعر نفسه ، ومما أورد الناقد بوتتيجيا ، ما يكفي لالقاء الضوء على أعمال الشاعر سنيسغاللي الشعرية ، لكي أنطلق الآن الى تقديم ترجمات لنماذج مـن قصائده التـي تضمنتها دواوينه المختلفة .

الترجمـات

١ ـ الذكرى السنوية ـ Anniversario

أشجار تـوت
تحيط بالمقبرة .
وأمـي
مذكورة بكتابات باهتـة
على شاهـد قبر .
ثلاث وثلاثون سنة
مرت منذ أن أضجعوها
على السرير . وعبر الوادي كان يمر

جنود هاربون . وبصعوبة
وجد رجـال ليحملـوا
التابـوت .
مساء أمس ،
في ساحة القديس نقولا ، قالت لي أديلينا :
« لقد ماتت أمك قلقة البال ،
ولم أستطع أن أغمض عينيها الا بصعوبة .
لم يكن يبدو أنها راضية بذلك » .
« قد أثير اشفاقك
لو استطعت أن تراني ، فان عللي
لا يمكنك أن تشفيها ، لأنها
أقـدم منك » .

* * *

٢ ـ الحاشية ـ La corte

أتحرك وخلفي حاشية صغيرة :
فالذباب يتنقل
في الأماكن الميتة ، وفي حافظة النظارات ،
وعلى مقدم الأحذية .
وهو يتطاير كلما انحنيت
على دفاتري . ان به داء الأدب ،

وتطير بلبـه رائحة
الكتابة .

❋ ❋ ❋

٣ ـ عش ـ Un nido

بنى فنشنسو عشـه
على حافـة واد .
بيت ذو غرفتين ،
وفرن في الطابق الأرضي ،
ومخزن ، واسطبل .
ولقد أحصيت ثلاثة خنازير ، وكلبين ،
وقطا ، ونحو ثلاثين صوصا ،
وبطتين . وفي كهف
تحت الجسر ، يريد أن يحفر
حوضا للأسماك : يقول
ان حوريات البحر السابحات ضد التيار
قد يصعدن من البحيرة الى هنا .

٤ ـ على البيدر ـ A bel vedere sull'aia

على البيدر
رقدنا ليالي عديدة ،

أيدينا مغروزة في القمح ،
والكلاب تحرس نومنا .
وكانت قدماك أكثر وداعة
من الحمائم الوهمية
التي نصنعها من قماش المناديل البيضاء .
كان بين شعرك خيوط من القش :
وعلى كتفيك تحركين المرج
بأغنية مترجرجـة .

❊ ❊ ❊

٥ ــ الأطفال يلصقون النقود الحمر ــ I fanciulli battono le monete rosse

الأطفال يلصقون النقود الحمر
على الجدار . (وأحيانا تسقط
على الأرض برنين حلو) . ويصرخون
بأعلى أصواتهم في مثل نار الحرب .
ويتبادلون الدعابات المتكبرة ،
والشتائم اللذيذة جدا . والمساء
يلهب جباههم ، ويثير شعرهم ،
وينزل على الحجارة دافئا كالدم .
ثم تخلو الساحة ويعود اليها الهدوء .
وتستقر النقود الملصقة

واحدة قرب الأخرى ، وبينها مسافة شبر •
ويضغط الطفل على الأرض
بيده الظافرة •

❋ ❋ ❋

٦ ـ الشمس تفتح لك يدها الفخورة ـ Il sole ti apre la mano superba

الشمس تفتح لك يدها الفخورة
وسأم النهــار
يتخذ مثل حرارة الجسد •
لقد كسرت الشجرة روابط الهواء ،
والأرض كلها تشارك في ذلك •
والنور منتشر
لينمو على الحجارة ،
والحيوان يمضي في تذوق الحشائش القليلة •

❋ ❋ ❋

٧ ـ مقابــر إليزي ـ Campi Elisi

هنالك ، في مقاطعة آغري الحلوة ،
تتناثرون على الضفاف الحالمات ،
يا أهلنا الراقدين في الظلام •
ان جثثكم قد منحت العافية
لخضرة الجنان •

وقد امتدت حقول الفول
عبر الحواجز :
حيث يحترق عمر الورد في كبرياء
وتدوس الماعز الأرض
في أيام الجفاف •

٨ ـ شاهدت ربات الشعر ـ Vidi le Muse

على الرابية
رأيت حقا ربات الشعر
مضجعات بين الأوراق •
لقد شاهدت حينئذ ربات الشعر
بين أوراق البلوط العريضة
يأكلن ثمار البلــوط والتــوت •
لقد شاهدت ربات الشعر يندبن
فوق بلوطة دهرية •
ودهش قلبي لذلك ،
وساءلت قلبي الدهش ،
وحدثته عن دهشتي •

٩ ـ القصائد القديمة تعود الى الذاكرة ـ
Ivecchi versi tornano a memoria

ها أنذا تعزيني

حكاية الوردة
التي يمحوها الثلج (وعلامة
حية ، هي جذوة سيجارتك) .
وها قد ضاعت في الظلام
مظلات (ترينيتا داي مونتي)[1]
فاذا كانت خطانا عميقة
فسنجد السلام في مملكة
لاينتظرنا فيها أحد .

١٠ ـ الى ابـي ـ A mio padre

الرجل الذي يعود وحيدا
في المساء المتأخر من الكرم
يغسل اللفت في البركـة ،
ويبرز من الزقاق ومعه القش
الملوث بلون الصدأ .
الرجل الذي يحمل التراب الطري
على حذائه ، ورائحة
المسـاء الباكـر في ثيابـه ،

---

(١) ترينيتا داي مونتي : مكان مشهور في قلب روما ، عند ساحة اسبانيا ، يعج دائما بالفنانين والسياح .

يتوقف عند العين ، ويتحدث
الى البستاني الذي يقتلع نبات الشومر •
انه رجل ، رجل ضئيـل ،
وأنا أنظـر اليـه من بعيـد •
انه نقطـة حية في الأفـق •
ربمـا كان بؤبـؤ عينيـه
سيتوهـج هذا المسـاء
الى جانب حوض الأسماك
حيث يجفف جبينـه •

* * *

١١ ـ يا لهذا الصباح العجيب ! Che incredibile mattino

يا لهذا الصباح العجيب !
ألسنة الكلاب يتصاعد منها البخـار
وسلفسترو قريب مني •
ولم يعد بوسعي أن أميـز
رنين الأجراس : أهي من كنيسة القديس أنطونيـو
أم من كنيسـة القديس يعقـوب ••• نحن في قلب الوادي
وكأننـا في قلب بحـيرة •

* * *

١٢ ـ سفح جبل ماريو (١) ـ Pendici di Monte Mario

تزهر الحصى اللامعـة
بين أعشاب الرابيـة ٠
وها هـي ذي أوائل الأوراق تلتـف
على الأشجار من حول المدينة ٠
وها هي ذي أول ضربـة فأس تصـل الى هنـا ٠

١٣ ـ شعلتان ـ Due fiammelle

لقد تركتم نجما مظلمـا
في عينيّ ،
ورائحـة الشتاءات
بين الصفحات الباهتـة
من دفاتري العتيقة ٠
ولقد عشت في قلب
سمائكم المحرقـة
وحرقت مثلكم
حياتي عبثـا ٠

١٤ ـ قمر أيلول الجديد ـ L luna nuova di Settembre

قمر أيلول الجديـد

---

(١) جبل ماريو : حي جميل من أحياء روما ، يقوم على جبل مرتفع خلف الملاعب الاولمبيـة .

قذف بالأولاد الى الطرقات •
انهم ينفخون في أيديهم ، وبشيء من الشقاوة
وشيء من الجنون ، يعابثون
ابن عرس المتألــم •
وينسابون في الأحواش
ما بين الأشواك والنفايات
ليقوموا بغاراتهم •
ان لهم أجنحــة في أقدامهم
ويحشرون البَيض الساخن في جيوبهم •
ويساعدهم القمر بأن يلقي النــوم
في عيون الحرُاس •

١٥ ــ أمسية من آب ــ Sera d'Agosto

أنا هنــا في هذه الأمسية
خلف نسيج العنكبوت
الذي يحرس عرشك :
كل نجم هو أقل من لا شيء
كذبابة لامعــة من منطقة لوكانيا •

١٦ ــ الكرم العتيق ــ La vigna vecchia

أجلس على الأرض

الى جانب مستودع التبن في الكرم العتيق •
والألاد ينتزعون الجوز
عن أغصانه ، ويدقونه بين حجرين •
وأنا أدهن يدي بالحامض الأخضر
وأستمتع بالهواء الآتي من أعماق الأشجار •

* * *

(من ديوان « نسيان » الذي يمثل آخر طور من أطوار شاعرية سنيسغاللي)

١٧ ـ اقترب منك ـ Ti vengo vicino

أقترب منك لأراك •
عليّ أن أحمي عيني
من الأشواك •
بوسعي أن أناديك
وليس من يسمعني في الحديقة •

١٨ ـ في الانتظار ـ Sto in attesa

أترقب ، وأنظر
الى هناك لأرى متى ستنفجر
الأزهار من بين الأوراق

١٩ ـ أماكن عزيزة ـ Cari luoghi

الأماكن العزيزة هي حيث

يبدو لك أنك تسمع

تسمع صوتك بصورة غير مباشرة

٢٠ ـ تجيء الريح ـ Arriva il vento

تجيء الريح الفاترة ،
الريح القادمة من سالرنو ،
لكي تمنح السفرجل حلاوة •

٢١ ـ يدك ـ La tua mano

يـدك
محفوظة في مخبـأ
من الذاكـرة •

٢٢ ـ أمـك ـ Tua madre

تحمل اليك أمّك في السرير

بيضتـين مقليتـين

قبل أن تسافـر •

وينزلق الحذاء من قدميك

فيسقط في القناة

وليس في وسعك أن تسترده •

٢٣ ـ الشمس والقمر ـ Il sole e la luna

الأطفال المتراصون على الدرج خلف الأبواب
هم ، عند الفجر ، أول من
يستمتعون بشمس الطرقات
المنحدرة .
وفي المساء
على الحجارة عينها
ينتظرون القمر .

٢٤ ـ الشمس عند شروقها ـ Il primo sole

الشمس عند مشرقها
تصل الى الساحة على ظهر جواد
لتنشر الرعب .

٢٥ ـ الى جو تلسون ـ A Joe Tilson

الفن لا يحميه
السحر ، والرموز
هي أشياء مبتذلة جدا .
وأما الشعر فينبغي أن يجيء نابضاً بالحياة .

٢٦ ـ خمول ـ Pigrizia

لدىّ مشط

لـه سن واحـد ،
وفرشاة ليس فيهـا
غير شعرة واحـدة .

٢٧ ـ الكتاب الأسـود ـ Libro nero

اسم آخـر
في كتاب الأصدقـاء
المفقوديـن

٢٨ ـ التعاسة ـ La sventura

التعاسة تجعلنا أفضل مما نحـن
وهي لا تذلنـا ، بل تمجدنـا

٢٩ ـ اعتزلت الناس ـ Mi straniai

لقد اعتزلت الناس
فلم أشـأ أندادا
ولا رفاقـا

٣٠ ـ الى روبرتو لنتزالونـه ـ A Roberto Linzalone

يـدا الأمّ
تعجنان الشعر والحقيقـة .
في الخبز كُتبت المساواة .

وهذه ، دون ريب ، حكاية أزلية
تنادون بها على ضوء الفانوس •

٣١ ـ الأسماء والأشياء ـ Nomi e cose

تنفصل الأسماء
عن الأشياء • انني أرى أشياء
وأشخاصا • ولم أعد أتذكر
الأسماء • ان العالم
بخطوات صغيرة
يبتعد عنا ،
ويصبح الأصدقاء
في عالم النسيان •

٣٢ ـ غياب ـ Assenza

تبقى الأشياء
حتى عندما
تغيب العين •

٣٣ ـ بهدوء ـ In pace

أمضغ بهدوء
خبزا يابسا
أمام الغسق •

٣٤ ـ برهـان ـ Evidenza

لست أرى ما خلفـي
ولا ما تحتـي ، وانمـا أرى السطح فقـط .

٣٥ ـ حكاية شتاء ـ Racconto d'inverno

المطر يضرب على الزجـاج
وأنـا عليّ أن ألازم طوال المسـاء
شخصـا ممـلا .

أدب الأطفال في انكلترا

د. عبد الرزاق جعفر

يطلق النقاد على الادباء الانكليز الذين يكتبون للاطفال والفتيان نعت « الكتاب الحقيقيين للاطفال » . سوف نحاول في هذه المجالة التعريف بادب الاطفال في انكلترا : منابعه البعيدة ، والصفات التي يتصف بها ، وأهم مؤلفيه الكلاسيكيين والمحدثين ، وأبرز المؤلفات التي وضعت للاطفال والموضوعات التي يعالجها هذا الأدب .

مصادر أدب الأطفال في انكلترا

يستمدّ أدب الطفولة وجوده من (الفولكلور) بل من كل ماهو حيّ ودائم في هذا (الفولكلور) • الا أن أدب الطفولة في انكلترا يشذّ عن هذه القاعدة ولا يدين بشيء للأفكار والحكايات (الفولكلورية) التقليدية •

إن سحر أدب الأطفال في انكلترا كامن في طبيعته الفريدة المناوئة للواقعية الى درجة تكاد تكون مفرطة ، فهو ليس تعويضاً عن الواقع أو قفزات في نقل الرموز كما يقال بل هو تحوير بسيط للواقع وانتقال الى عالم آخر مغاير

للحياة الحقيقية لا نرى فيه نقاط ارتكاز عادية مألوفة . بكلمة أخرى ان هذا الأدب يتركز في « البحث عن الوهمي » .

١ ـ أهازيج الادوار :

ولقد جرت العادة في الأدب ، وغير الأدب ، أن نبحث دائماً عن الأصول والمنابع . لذلك يمكن أن نقدر وجود منبع لهـذا الفيض الهائل في الأدب الطفولي الأنكليزي الذي يتميز بجودة القريحة وخفة الروح والافراط في المبالغة . وهذا المنبع لا يمتّ الى الأفكار العامة (الفولكلورية) بصلة . بل انه يدين بوجوده الى (فولكلور) معين هو « أهازيج الأدوار » التي ترافق ألعاب الأطفال الجماعية وتتميز بالتناوب في الأدوار : « من عليه الدور ؟ » .

المعروف أن ألعاب الأطفال الجماعية ، عند كل شعوب العالم ، ترافقها أهازيج وأغان ، ولازمات ، لكن أهازيج الأطفال في انكلترا تحمل طابعاً خاصاً متميزاً .

ان هذه الأهازيج مجهولة الأصل . ويقال انها ابداع طفولي جماعي تكدّس عبر العصور وانتقل من الأفواه الى الآذان وكان يُغنى على شكل طقوس ايقاعية عند اللعب . وتتصف الأهازيج الانكليزية بوفرتها وتنوعها وكثرة المفاجآت فيها . وهي لا تكتفي بالجرس الموسيقي ودوي القافية ولذة اللحن بل انها تدفع الصغار الى الحركة والاستمتاع بهذه الحركة والى الانشاد المرافق لايقاع الرقص كما تدفعهم الى التآلف والمحبة وادراك معنى التعاون . وتتحدد الأغاني وأوزانها وفق الحركات الايقاعية الراقصة . ينقسم الأطفال الى فريقين في الحديقة أو الروضة . يبدأ أحد الفريقين الحفلة . وحين ينتهي

دوره يردّ عليه أفراد الفريق الآخر منشدين راقصين ••• وهكذا ••• كل ذلك بايقاع جميل مرح •••

ومن أهازيج الأطفال (أو أناشيد الحضانة) الضاحكة الصاخبة الجريئة أحيانا تولد شخصيات وتخلق صور بصرية : الأم العجوز هوبارد ، والآنسة الصغيرة وعنكبوتها ، وجاك هورينر ، وخادم القلوب الشره واللص ، والسيدة الجميلة ذات الخلاخل ، وتويد لدوم وتويد لدي الشرسان اللذان يرقصان الراقصة الأبدية حول صغار الانكليز ••• تلك القصص جمعها (نيو بيري) الذي عاش بين (١٧١٣ ــ ١٧٦٧) • وهي تعتبر القصص التقليدية (الكلاسيكية) في مكتبات الأطفال في انكلترا منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر • وقد اهتم برسومها أشهر الرسامين من أمثال (كانت غرينواي) و (ليسلي بروك) و (كالدكوت) وغيرهم • ولقد سحرت شخصيات هذه القصص ألباب الكتاب والشعراء الانكليز ومخيلاتهم •

٢ ــ اللامعاني :

كذلك يمكن أن نرجع جزءاً من أدب الأطفال في انكلترا الى تأويله المتنوع والفريد للواقع • ذلك التأويل (الكاريكاتوري) • فقد اشتهر الأدباء الانكليز بهذا الفن أيضاً وامتازوا به عن غيرهم •

كان أول كتاب ظهر في هذا الميدان هو (كتاب اللامعاني) الذي وضعه (ادوار لير) الذي عاش بين (١٨١٢ ــ ١٨٨٨) • يقصد بلفظه « اللامعاني » التلاعب بالألفاظ والاهتمام بالكلمات وتوليد الصور •

و « اللامعاني » مثل (أهازيج الأدوار) وأغاني الحضانة ، لها جذورها البعيدة . بدأت على شكل تسلية وتلاعب بالألفاظ بصورة بسيطة ساذجة . ثم تطورت . وهي معروفة عند كل الكتاب الانكليز . ونجد منها الشيء الكثير عند عملاق انكلترا (شكسبير) .

تتميز « لامعاني » ادوار لير بنكهتها الخاصة وشاعريتها الرقيقة . وهي عبارة عن مقطوعات صغيرة مؤلفة من خمسة أبيات خفيفة ذات قافية واحدة وتمثل قصة قصيرة خفيفة .

المقطوعات الأولى يجهل قائلها أو قائلوها . الا أنها ظهرت في دواوين صغيرة موجهة للأطفال بصورة خاصة . ثم جاء (ادوار لير) فوضع على نمطها مقطوعات تدور حول « ست عشرة عجوزاً » . فكانت مدهشة فعلاً :

كانت هناك عجوز مُسنّة من (ليد)
تنفق وقتها كله في الأعمال الطيبة .
وتعمل من أجل الفقراء
حتى أصاب المرض أصابعها
هذه المرأة التقية من (ليد) .

وعلى هذا الانموذج المليء بالصور نظم (إدوار لير) أكثر من مئتي قصيدة جعلها على شكل مقطوعات صغيرة مؤلفة من خمسة أبيات ذات قافية واحدة وتمثل قصة قصيرة . كانت هذه القصص ساذجة لكنها دليل على عبقرية هازلة متهكمة مسلية خدمت أدب الاطفال خدمة عظيمة حين أخضعته لقيمة جوهرية تبرز للمرة الاولى في انكلترا وهي « الحرية » .

المعروف أن التربية الانكليزيـة كانت تتصف بالتعسف والقسر وفرض النظام والعقاب . لذلك كانت هـذه القصص القصيرة المؤلفـة من خمسـة أبيات تعبيرا عن الثورة ضد ظلم الآباء للأبناء . وقد اعتبر (إدوار لير) ثائراً حين نظم قصائده في موضوع « الحرية » .

ولم يكتف (إدوار لير) بانتاجه فأضاف اليه من عنده عشرين قصيـدة وقصتين أو ثلاث قصص صغيرة مسلية و (ألف باء) لا معنى له أيضاً . ونشر ذلك كله بين عام ١٨٤٦ وعام ١٨٨٨ فكان أهم أعماله الأدبية .

واذا أردنا التحدث عن هدف (لير) من عمله هذا قلنا ان هدفـه لم يكن واضحاً . فقصائده كانت تلاعباً بالألفاظ ، وهدفها التسلية قبل كل شيء ... ان كتاب « اللامعاني » يعارض معارضة قوية ذلك المنهج التعليمي الذي كان سائداً آنذاك وطريقة البحث التي كانت تبعث الملل في النفوس . نجد فيـه عذوبة وخفة شبيهتين بما عرفناه عن « أهازيج الأدوار » وأغاني الحضانة . أضف الى ذلك الغنى الواسع ، الغنى الذي لا ينضب في مخيلة ما تفتأ تزدهر من ابداعاتها الخاصـة .

ولقد كان صغار الانكليز ــ ولا يزالون ــ يجدون متعة عظيمة ، « متعة إلهية » كما قال أحد النقاد ، عند قراءة (إدوار لير) لانه كان يسليهم بطرفـه القصيرة الرائعة . انه كان يسليهم بكل شيء...وبذلك اعتبر ثائراً مجدداً ...

لقد استعان (ادوار لير) بالوزن والقافية ولجأ الى الصورة اللفظية . كان يرسم بالكلمات . وكانت صوره مضحكة مسلية ...! ويقال ان صوره

اللفظية هي التي أوحت بالدمى واللعب المشوهة الدميمة القاسية الخشنة المضحكة • لقد تحولت تلك الصور اللفظية الى دمى ولُعب ثم الى أشباح مفزعة أو مفرحة من المطاط واللدائن لكي تسلي أطفال الولايات المتحدة الامريكية واليابان ••• والعالم أجمع • ثم جاء وقت ابتدع فيه اخوان (ماركس) شخصياتهم الطريفة ، وتخيل فيه الرسام الامريكي الشهير (موريس سينداك) رسومه التي نشرها في كتابه المعروف « الاشياء المجنونة هي ••• » الذي يقارنه النقاد بكتاب « اللامعاني » ويرون أنه لايقل روعة عنه • والسبب في ذلك أن (إدوار لير) كان رساماً محترفاً أيضاً يرجع الفضل اليه بابراز شخصياته كلها بجرة قلم • انه يرسم بالكلمات كما قلنا •

بيد أن المظهر الآلي والقصائد الشبيهة بقصائد الطقوس الدينية والموجودة في « كتاب اللامعاني » والمتميزة ببساطتها وخفتها وتفاهتها أحيانا تخلق كلها ، حول الطفل ، عالماً مخلخلا في البداية • وبفضل إلحاحها وتكرارها ما يلبث هذا العالم المخلخل أن ينتظم انتظاماً كاملا وأن يصبح شيئاً ضرورياً فيما بعد ، شيئاً لايمكن الاستغناء عنه • هذا العالم سوف تكون الأشياء فيه « على هذا النحو » أو « هكذا » لأن الكلمات أو القافية أو الوزن أرادت ذلك ، وليس الفكر أو الواقع هو الذي يريد • عالم يكون فيه المجنون قد خلق « على هذا النحو » لكي يبحث عن خطيبته في الظلام ويصنع لنفسه أنفاً مضيئاً إذ أن من الطبيعي ألا يحصل المجنون على هويته الحقيقية الا اذا صار المجنون « ذا الأنف المضيء » •

كأن من المستحيل مقاومة سحر الكلمات والفرار من الصور التي يفرضها

علينا الحلم اللذيذ الممتع • ان كل هذه المبتكرات الطريفة تجهز وفق أشـكال غريبة وتكمن في مزج أجسام متنافرة من الرسوم والكلمات تخلق بدورهـا عناصر جديدة مبتدعة لم يسبق لأحد أن رآها • والواقع أن كل عملية من هذا النوع تحتاج ـ لكي تنجح ـ الى أن تحاط بشيء من الروعة والمهابة وتتطلب إدراكاً لسر المبادهة • وهي لايمكن أن تكتمل إلا في بيئـة مغلقـة كالبيئـة الانكليزيـة •••

٣ ـ وضع خاص للطفل الانكليزي :

لقد تساءل (بول هازارد) عما اذا كان ثمة كائن انساني في الدنيا أسعد من طالب انكليزي في مدرسـة متوسطة في مدينـة (إيتون) أو في مدينـة (روغبي) • وكان عليه أن يتساءل ، بدلا من ذلك ، عما اذا كان هنـاك كائن يقتلع اقتلاعاً من العالم كله مثله بدعوى حمايته من الحوادث العامة • المعروف أن الطفل الانكليزي ، منذ طفولته المبكرة ، يوضع في عالم خاص يعيش فيـه وحيدا ••• ملكاً • وقد ابتدع له مجتمع الراشدين ميدانين صنعيين تماماً هما : مدرسة الحضانة في البداية ثم المدرسة المتوسطة بعد ذلك • وهو يتحكم فيها كما يشاء • لكنه لايخرج منهما •••

لذا كان من نتيجة وضع الطفل الانكليزي في هذا العالم الخاص أنه ، حين ينفرد بنفسه ، حين يحظر عليه الاتصال بالعالم الخارجي ، كان يبني لذاته نمطاً خاصاً من الحياة يهرب فيها من السلطة القاسية الحمقاء التي يمثلها الراشدون • وفي داخل المدرسة المتوسطة ، كما هي الحال في الحضانة ، يقيم لنفسه نظاماً مستقلا من القيم والقواعد الواعية التي تحميه من الاعتداءات المحتملة التي قد

يرتكبها ضده من هم أكبر سناً منه ... كذلـك قـد يعيش الفتى الانكليزي فريسة الخوف من المجهول وضحية القلق الدائم . أضف الى ذلك أن انطواءه على ذاته سوف يدفعه الى الغوص في أحلام اليقظة المجنحة .

كان نظام التربية ، في انكلترا ، مبنياً على منطق السيد والعبـد ، منطق الراشد المتحكم المتسلط والطفل المحكوم الخاضع . وقد جسد هذا النظام في المدارس المتوسطة عن طريق المؤسسة المعروفة باسم مؤسسة « التبعية » حيث كان يرغم كل تلميذ صغير يلتحق بالمدرسة المتوسطة على أن يكون أمين سر أو خادماً أو تابعاً لتلميذ أكبر منه .

وحين يكبر التلميذ الصغير يتخذله بدوره تابعاً من التلاميذ الجدد ، ومن هنا جاءت كلمة « التبعية » ، لابأس أن يتعذب التلميذ الصغير ويتألم . ومن المفيد أن نذكر أيضاً أن العلاقات التي كانت تنتظم بين الأفراد على هـذا النحو والتي كانت تفلت من رقابة الراشدين ليس لها أي ارتباط مع مانسميه اليـوم علاقات الصداقة والرفقة . اذ أن هذه العلاقات ، على الرغم من وجودهـا في الواقع وعلى الرغم من قدرتنا على التعرف عليها في الكتب كانت تثير النزعات السادية والنزعات المازوشية وتساعد على تثبيتها .

على الرغم من مهاجمة « مؤسسة التبعية » هـذه ونقدها آلاف المرات وفضحها فضحـاً لاذعـاً ، في أدب الناشئة وفي غيره ، إلا أنهـا حافظت عـلى امتيازاتها فترة طويلة من الزمن وصمدت أمام الهجمات العنيفـة التي وجهت اليها . ويكفي أن نعود الى الكتب المدرسية (الكلاسيكية) المخصصة للأولاد في انكلترا والتي كانت تضم أيضاً روايات المدرسة المتوسطة حتى نجد النزعة

المثالية التي تجلت في : « أيـام مدرسـة توم براون ـ ١٨٥٧ » التي كتبهـا (توماس هوغ) ، وفي كتاب الايديولوجي الأديب (روديارد كيبلينغ) الـذي وضع له عنواناً « ستالكي وشركاؤه » • كذلك نجـد النزعـة الاصلاحيـة العاطفية التي يعبر عنها كتاب « إيريك أو شيئاً فشيئاً » الذي كتبه (فريدريك و • فارار) • وننتهي أخيراً بذلك الانفجـار الثـوري الـذي نراه في فيلم (ليندسابي آندرسن) • كل هذه الأعمال الفنية والأدبية كانت تعبر عن الثورة ضد النظام التربوي الانكليزي المعتمد على « مؤسسة التبعية » •

نحن ـ إذن ـ أمام وضع خاص كان يعيشه الطفل الانكليزي •

ولما كان من الضروري جداً اجراء الحوار مع عالم الراشدين من أجـل متطلبات عملية فقد أصبح لكل ولد وسيطان هما : الطالب الأكبر (أو العريف) المسلح بعصا الخيزران الظالمة والذي يملك حق فرض العقوبات على زملائه في المدرسة ، أما في البيت فهناك الخدم • وأهم شخصية بين الخدم هي الحاضنة أو المربية ، لقد كان الخدم آنذاك يديرون شؤون البيت المادية • لذلك لم يكن الأولاد بحاجة الى تكوين علاقات في سبيل الحصول على مصروفهم من آبائهم مثلا • وكان الآباء يقبلون بهذا الوضع لأنهم ربوا بالأسلوب نفسـه • لهـذا السبب كنا نجدهم يغضون النظر عما كان يجري في جناح الخدم •

٤ ـ آليس :

وكان أول من تنبه لما كان يجري في دنيا الأولاد المنعزلة هم كتاب أدب الأطفال • وكان أبرز هؤلاء الكتاب (لويس كارول) الذي عاش بين (١٨٣٢ ـ ١٨٩٦) • فهو حين حمل بنات العميد (ليديل) الثلاث على متن زورق انما

كان يتخيل لهن « مغـامرات آليس في عالم باطن الأرض ــ ١٨٦٥ » • ونحن عندما تتأمل وجه (آليس ليدل) الملائكي نجد أن من الصعب جداً الاعتقاد بأن مرافقة هذه الطفلة البديعة الناعمة يمكن أن توحي بخلق الأشباح • بيـد أن الأطفال الذين كان (لويس كارول) ، في الواقع ، يتسلى بتصويرهم لهم كلهم هذه الوجوه الصافية وتلك النظرات البريئة التي تميز طفلي « برج إيكرو » التي كتبها (هنري جيمس) في عام ١٨٩٨ • و « برج إيكرو » هي دراسة عن الشر بدون أدنى ريب • انها غوص في أعماق الحجيم ولقاء أعذب براءة وأعظم جنوح • والسبب في ذلك أننا نجد فيها فكرة جوهرية عن العلاقة القائمة بين الأولاد والخدم ، بيد أن هذه الفكرة الجوهرية قلبت رأسـاً عـلى عقب حين عرضها المؤلف في مظهرها السلبي • فليس الأسياد الصغار هم الذين يجعلون الخدم شركاء لهم في ألعابهم وليسوا هم الذين يدخلون الخدم معهم في عالمهم، عالم الطيش ، والمرح ، بل ان الخـدم هم الـذين يقودون الرقص ويدفعون الأولاد حتى حدود الخطيئة والمعصية •••!

أما كتاب « آليس » فميزته الرئيسية هي أنه كتاب وضع للأطفال قبـل كل شيء ••• وربما كان الكتاب الوحيد الذي كتب للطفل الانكليزي فعلا • إنه كتاب لايهدف الا الى التسلية ولا يتجه الا نحو المخيلة ، لذا ليس غريباً أبداً أن نعتبره الكتاب الأدبي الأول للأطفال •

لقد أبرز كتاب « آليس » الى الوجود أحد أسس الحياة النفسية الهامة : « القلق » ، وان مايميز القلق الذي نراه في كتاب « آليس في بلاد الأعاجيب » هو أنه ، بدون أدنى مناقشة ، يصف قلق الأطفال وحدهم • فنحن نصادف هذا

القلق منذ الصفحات الأولى • انـه يتجلى في كل مكان ، في كل لقـاء ، في كل مغامرة ، وحيث لايتوقع أحد حدوثه • هناك مثلا القلق من عدم النمو السريع، ومن البقاء صغيراً ، ومن الخوف من النمو والكبر أيضاً • هناك الفزع من أن يرى الطفل نفسه فجأة عرضة لتغيرات وتبدلات جسمية غير مفهومة وتحولات غريبة • وقد تصبح هذه المرارة ، في فترة من الفترات ، خجلا وعذاباً حقيقيين • لانعتقد أن مؤلفاً آخر استطاع أن يعبر عن الانفعالات التي تظهر في مواقف الارتباك والعدوان تعبيراً أفضل مما نراه في مغامرات « آليس » • ولا نظن أن كاتبـاً تمكن من وصف دقائق الخجل التي تجعل الطفـل أخرس واحمق إزاء حكمة الراشدين كما فعل (لويس كارول) • لم تكن « آليس » عاجزة عن الاجابة عن الأسئلة التي تطرح عليها فوراً فقط بل انها كانت تجد نفسها محاصرة بصيحات وأحاديث غير مفهومة قد لاتسمع كلماتها بوضوح • وأشهر مثال عن عجز الانسان عن فهم اللغة عند الأطفال نجده أمام أقداح الشـاي مع بائـع القبعات المجنون • كما نجده ، بصورة بارزة ، في كل فصل من الفصلين اللذين يتألف منهما الكتاب •

هنا يمكن أن يكون من خطل الرأي الادعاء بأن الكلمات ليس لها معان • بالعكس تماماً • انها تحتفظ بمعانيها الدقيقة بشكل مضبوط ومنطقي • وهذا سر تحتفظ به اللغة والكلمات • فاذا تناولنا الكلمات بمعناها الحرفي أصبحنا عبيد اللغة وحواجزها وقيودها وبقينا جامدين في أماكننا لانحيد عنها • كذلك اذا ظلت الكلمات جامدة في معانيها الأصلية فقد المظهر الخارجي للأشياء والناس طابع الثبات والاستقرار • ان العالم الخارجي المرئي في تحول دائم واضطراب مستمر ، انه يتملص منا ويخضع لاندفاعات فجائية : فالطفل قد يصبح خنوصاً

(خنزيراً صغيراً) والبائعة العجوز قد تتحول الى عنزة • والقطة تختفي دون أن تخلف وراءها الا ابتسامتها • وفي نهاية المطاف تتطور « آليس » وتنمو في عالم تسكنه الأشباح • من أين تأتي هذه الأشباح ؟ هل هي شخصيات « أهازيج الأدوار » ؟ أم أنها ناتجة عن التلاعب بالألفاظ والتراكيب المضحكة الجاهزة ؟•

٥ ـ أدب الاطفال وعلم نفس الطفل :

ونحن اذا حاولنا اجراء موازنة بين (لويس كارول) الانكليزي و (آندرسن) الدانمركي وجدنا أن القصة عند (لويس كارول) لاتنطلق من الملاحظة الخارجية للعالم الخارجي أو لعاطفة الحياة ومدتها أبداً بل تنطلق من نفسية الطفل ذاته •

ومن أيام (لويس كارول) حتى أيامنا هذه سوف ينقب كتاب الأطفال في أسرار هذه النفس الانسانية وسوف يسعون جاهدين لاعادة خلق ما كان يجري في فترة الحضانة في انكلترا ••• وشيئاً فشيئاً سوف تتكون صورة « الأولاد المرعبين » الأولاد الجهنميين لأنهم مرعبون فعلا (كما يرى جان كوكتو) • والسبب في ذلك أن ألعاب الأطفال في هذا العالم المتسمم ، عالم « الفرقة » ، وفي فوضى الأشياء ، وتفادي كل تنظيم للوقت سوف تؤدي الى الفاجعة حتماً ••• إلى الاستعداد لاكتشاف الكنز ، والاختلاط البريء ، والمشاحنات ، والاستغراق الشديد في أحلام اليقظة التعويضية ، ومما يسمونه « الانطلاق بعيداً » ••• ألعاب وحماسة تبلغ ذروتها ••• ونتائج هذه الأمور كلها قد تؤدي حتماً الى الفاجعة •••! بالأخص عندما تصبح غرفة الأطفال مرسحاً لرقصة شاذة ينفذها أناس متحمسون ويمثل فيها أربعة من الوحوش

الضارية التي أصابها المس والتي تشبه شخصيات (راسين) ، دور لعبة الحب والموت الغامضة ... وهنا يتفق الذين يكتبون للأطفال مع الذين يكتبون عن الأطفال بكل تأكيد . لذا فنحن نسيء تصور قدرتنا حين نقدم للفتى المراهق هذه الصورة عن نفسه أو بالأحرى يصعب علينا تحديد ميدان أدب الأطفال في معظم الأحيان والواقع أن استخدام الألفاظ يتحدد حسب رؤية المؤلف وتفاؤله أو تشاؤمه . فقدرة المرء على الصمت والتكتم في فترة أحلام اليقظة والشيطنات ، وتباين السلوك المفاجيء في المراهقة ، ومختلف مظاهر جنوح الأحداث كلها ، سوف تؤول تأويلا متبايناً . وسوف يُرى كل شيء كما ترى حياة الجن في « حلم ليلة صيف » وكأننا نعيش كابوساً رهيباً عن الوحوش .

خذ مثلا « مولن العظيم » للكاتب الفرنسي (هيكتور مالو ١٨٣٠ ــ ١٩٠٧) . ان خطوات « مولن العظيم » تقوده الى الغابة فالحديقة فالقصر ثم الى ذلك الاحتفال بالعيد الغريب .

كذلك اذا أخذنا « مكتشفي القاع » لمازودو لاروش الكندية المعاصرة ، نجد تآزر الأطفال مع الخادمة والصبي الجزار وبعض المتسكعين الذين يقلبون البيت الحزين ، الذي تدير شؤونه وصيفة قاسية ، الى مكان يشع بالعذوبة والمفاجآت المرحة التي لاتنتهي .

والعكس من ذلك نراه في « إعصار جامايكا » للكاتب الانكليزي (ريتشارهوغ) الذي عاش بين (١٨٢٢ ــ ١٨٩٦) وفي « أصحاب الجلالة الذباب » لـ (ويليام غولدينغ) . فالأطفال ، في هذين الكتابين الأخيرين ، يتصارعون في كابوس وكأنهم في الحياة الطبيعية . وكأن الأمر هنا يتعلق

بمحاولة جمع ما كان يغوص في أعماق الذاكرة • ان عنصر الحزن العميق أساسي جداً حتى في أشد الحالات عنفاً في هاتين الروايتين • فالراشد فيهما يفكر بطفولته دائما ، بطفولته هو ، ويبحث عن الأعاجيب والغرائب فيها بصورة عجيبة وعنيفة • ويتنبأ القارىء بوجود هذه الأعاجيب في كل مكان ، ولا يترك الراشد مكانه للصغار أبدا مما يجعل القارىء يطبق الكتاب دون أن يتمكن من التفريق الصحيح بين الموضوعي والذاتي ومن غير أن يعرف ، في نهاية الأمر ، فيما اذا كان هذا العجيب ينبثق بناء على دعوة الأطفال وحدهم أم أنه ناتج عن الفكرة ذاتها التي يكونها الراشدون عن هؤلاء الأطفال ، وفيما اذا كان هذا القارىء إزاء تصور شعري حقيقي لقدرات الطفولة أو أنه إزاء مرض أصاب مخيلة الراشد •

وثمة كتب أخرى ، على العكس من ذلك ، تنسحب فيها الذاكرة تاركة مكانها للغريزة • فتنمحي فيها شخصية الراوي أو القصصي ولا يفكر الراوي والقصصي فيها بالطفولة أبداً•واذا صدف أن فكرا فيها فانهما يتعمدان نسيانها فوراً • حينئذ يكون الأطفال وحدهم هم الموجودين : يتحدثون ويلعبون بحرية تامة (وبوقاحة أحياناً) بالأخص حين لايحسون بوجود من يلاحظهم • حينذاك سيقولون بكل صراحة : من هم ، وما هي شواغلهم ، ورغائبهم ••• وهذا كله يتفق مع رغائب الطفل القارىء •

ان المؤلفين الذين يتقنون معرفة الأطفال والذين يعرفون كيف يفاجئونهم في لعبهم ويراقبونهم عن بُعد من غير تدخل أو توجيه أسئلة هم الذين يمكن أن نطلق عليهم لقب « الكتاب الحقيقيين للأطفال » • ويأتي على رأس هؤلاء

« الكتاب الحقيقين للأطفال » الكتاب الانكليز بدون أدنى شك وان لم يكونوا وحدهم في هذا الميدان •

٦ ـ السمات الجوهرية للأدب الانكليزي :

ماهي السمات الجوهرية والاتجاهات الأساسية التي يتصف بها أدب الأطفال في انكلترا والتي جعلت مؤلفيه يحتلون هذا المركز الممتاز ؟•

آ ـ في البداية يمكن أن نقول عن هذا الأدب أنه أدب مغلق محدد منحصر بعالم الطفولة وحده الى درجة كبيرة • أي أنه أدب يختصر كل شيء وضمن أبعاد عالم الطفولة دون أن يتعرض لما هو أبعد من ذلك •

ب ـ أما السمة الثانية لهذا الأدب فهي أنه يتطور في حاضر أزلي ضمن زمن متوقف يمكن تمثيله بنواس ساعة لايعلن أبداً عن المدة الحقيقية بل عن المدة التي تقع فيها حوادث القصة • فالحوادث ، في القصة تقع ، لكن الأبطال يظلون أطفالا وكأنهم لايشبون •• وهذه السمة واضحة عند بعض الأدباء التقليديين من أمثال (ميلوز وورث) صاحبة قصة « كوكو ـ كلوك » (عاشت بين ١٨٣٩ ـ ١٩٢١ واسمها ماري ـ لويزا ميلوزوورث) و (فيليبا بيرس) مؤلفة « توم وحديقة منتصف الليل » (وهي معاصرة) و (نيسبيت) التي ألفت كتباً عديدة نخص منها « بيت آردن » (عاشت إديث نيسبيت بين عام ١٨٥٨ و عام ١٩٢٤ وكانت اشتراكية النزعة وعضواً في الجماعة الفابية ، وعملت في الصحافة) •

جـ ـ والسمة الثالثة التي يتصف بها أدب الأطفال في انكلترا هي :

السكون في علاقته بالفضاء وبالمكان أيضا .

لقد أشاح هذا الأدب بوجهه عن التقاليد الواسعة في الرحلة ، تلك التقاليد التي ظهرت منذ عهد « الأوديسة » . وظلّ في مكانه يدور في محل مغلق جامد . ان أولاد القصص الأنكليزية يتركون غرفتهم لكي يبحثوا أو يكتشفوا . هذا أمر مؤكد . إلا أنهم يكتفون بالتنقيب في أماكن تخصهم وحدهم وتكفيهم وحدهم . لا يسألون عن مكان آخر سوى تلك الأماكن يمكن أن يستفيد منه آخرون سواهم ، وفي نهاية كل مغامرة يعودون الى غرفهتم التي كانوا يلعبون فيها أو مدرستهم التي كانوا يدرسون فيها .

لاتتبع رحلتهم خطاً مليئاً بالنزوات والعقبات بل تنتقل من نقطة الى نقطة حتى ترسم دائرة ، معتمدة في ذلك على الوجه السحري الرفيع للكلمات وعلى اللغة الجميلة ، وكأن هذا الوجه السحري الرفيع للكلمات أهم من الأحداث نفسها ومن نمو الأطفال .

لنأخذ مثلا « حلقة الجنيات » التي تناولها (رويارد كيبلينغ ١٨٦٥ ـ ١٩٣٦) والتي يمكن أن تعتبر الدلالة الوحيدة التي تجمع بين هذه السمات كلها . ان « حلقة الجنيات » هذه تنتهي بدون أن تؤدي الى نتيجة . فالأولاد فيها يضيعون في دوامة السحر ويؤخذون به ، لكنهم لا يتحولون . والمغامرات التي يقومون بها لا تمنحهم أي خبرة . بل انها ، على العكس من ذلك لا تفعل شيئاً سوى اطالة أمد الطفولة .

وان ابطال روايات « التدريب على مهنة » و « القصة الوهمية » يحافظون كلهم ، بصورة مبهمة ، على المعرفة ذاتها والقدرات ذاتها والعمر ذاته ،

ولكي يقطع المؤلف حبل هذا الجمود ويمنح القارىء انطباعاً بوجود الحركة والحياة لا يفعل شيئاً سوى زيادة عدد الأبطال • ففريق الأطفال الخاضعين لسحر المؤلف يزداد عددهم بقدوم أخ صغير ، أو بلقاء طفل آخر • وكل هذا ، كما يقال ، عبارة عن لعبة مرايا تنعكس فيها كل شخصية لترى فيها شريكا لها •

كل الشخصيات متماثلة • ولكي تولد الصراعات لا بد من أن تتشبث الشخصيات كلها بالسر نفسه ويسيطر عليها في الفترة ذاتها ، طيش واحد •••

لقد عبر عن ذلك كله تعبيراً مثالياً وجه (بيتربان) ذلك الطفل الصغير المفتون بأزهار حديقة (كينسينغتون) وجزيرة (السير باتتين) تلك الجزيرة المغاقة المستديرة حيث الطيور والأولاد الذين ينتظرون أن يولدوا ويتآخـوا• أما (بيتر بان) نفسه ، فسوف تـدقّ الساعة ، وسوف يتوقف النواس ، وسوف يعود طفلاً صغيراً كما كان • ولسوف يذهبمن تلك « الجزيرة ــ المأوى » ليستقر في حديقة (كينسينغتون) حيث يلعب أولاد يكبرون وحدهم أيضـاً •••

ان قصة (بيتربان) ، مثل أي قصة أخرى خيالية موجهة للأطفال • وهي تشير الى رفض الصغار ولوج عالم الراشدين وخوفهم من الحياة • وهذا الخوف هو الذي يدفعهم الى الهروب ، وهو الذي يدخلهم في عالم موازٍ ، عالم « الجانب الآخر » ، الجانب الآخر من المرآة ، الجانب الآخر من الشعور، وينبغي ألا نظن أنهذا الانتقال سهل وأنه يكفي أن يكون المرء طفـلاً حتى يعبر الى المرآة وأن رفض الواقع يعني أننا نعيش في الوهم تماماً • فمن النادر أن يدخل الطفل وحده عالم الأوهام انه بحاجة الى من يدخله فيه • انـه

بحاجة الى دليل ، وباختراع هذا الدليل يقاس حجم مخيلة المؤلفين . وأكثر هذه الأدلة وأشدها مباشرة وأعظمها طمأنة ... اللعبة أو الدمية ...

٧ ـ ادب الدمى والعرائس :

اتسع بيت الدمية حتى شمل منصة المسرح الخيالي وبذلك تمكن من ولوج هذا البيت أو هذا المسرح . وتطور فيه تطوراً أفضل مما يحدث له في العالم الحقيقي مع أشياء الواقع المحيطة بـه .

ان أولى الحكايات التي جعلت أبطالها من الدمى والعرائس أتتنا من ألمانيا . وهذا أمـر طبيعي لأن ألمانيا (مع ايطاليا) بلـد اللعب والدمـى والعرائس . وكلنا يعرف حكاية « كسارة البندق » الحكاية الوحيدة التي ألفها (إ . ت . آ . هوفمان) (١٧٧٦ ـ ١٨٢٢) والتي يمكن أن تبعث الفرح في نفوس الصغار . بل ربما كانت أكمل حكاية تحرك « بلاد الألعاب » .

وثمة عمل أدبي آخر مشهور هو « ويمي الأهبل » الذي كتبه الانكليزي (آلـن آلكسندر ميلن ـ ١٨٨٢ ـ ١٩٥٦) والذي بنى فيه الحـوار بين مخلوقات أقل ازعاجاً من العرائس المقطبة المتغضنة التي عرفناها في « كسـارة البندق » . انها دمى الأطفال الصغار جداً ... حيوانات ذات وبر خبيثـة ، ماكرة ، خرقاء ، حمقاء ، مثيرة ... يتأملها « ويمي » . يستمتع بهذا التأمل . يقارن بين نفسه وبينها . يتمكن من قياس سموه بالنسبة اليها . يتذوق لذة ممتعة تجعله لطيفاً مع ذاته .

وعلينا ألا ننسى غرابة القصص القصيرة التي كتبتها (رومير غودين)

الروائية الانكليزية المعاصرة والتي تثير حفيظة الأولاد ورعشتهم عند الانتظار والتوقع : الدمى التي تنتظر من يلعب معها • هذه القصص تطرح جانبا كل العواطف ما عدا عاطفة الحزن وعاطفة الفرح الصافيتين جدا •

يحب الطفل الصغير جدا الدمى والعرائس • انها تسحره • وهو يضفي عليها حياة فيحدثها ويتصور أنها تحدثه • وهذا ما يعرف بعلم نفس الطفل بالنزعة « الاحيائية » • أي أنه يمنحها الحياة • وكثيراً ما نرى الطفلة الصغيرة تتحدث مع دميتها وتعنفها أو تقبلها أو تعاتبها أو تبثها همومها • كما نرى الطفل الصغير الذي يمتطي دراجته فيتخيلها حصاناً أو كائنا يفهم لغته فيخاطبه ويضربه ويحثه •••

وقد جاءت السينما والشاشة الصغيرة فأخذتا تلعبان دوراً عظيماً جداً في بث هذه الحكايات الممتعة التي تمثلها الدمى واللعب والعرائس • وقد أخذت هذا الحكايات تغزو العالم كله في أيامنا هذه • والأدب الانكليزي يحتل فيها مقاماً كبيراً •

في بعض الأحيان نشعر نحن الراشدين بالراحة والمتعة أمام الأعمال الأدبية التي تختار الحوار بين الطفل وشخصية وهمية ، ويحدث غالباً أن طفلاً ، في هذا العمر أو ذاك ، يخترع لنفسه مرافقاً وهمياً يفضله على أفضل لعبة لديه ، قد يكون هذا المرافق أخاً وهمياً أو حيواناً أليفاً كان عنده فأبعدته الظروف عنه أو لعبة كانت عزيزة على قلبه ثم اختفت لسبب من الأسباب • يعيش الطفل مع هذا المرافق الوهمي فيبثه همومه ويناجيه ويعاتبه وينقل اليه أسراره ••• وكأنه تعويض عن حياة الواقع الثقيلة البغيضة •••

على هذا النحو نعرف « مملكة آنغريا » المدهشة ... ذلك البلد الوهمي الذي كانت تعيش فيه بنات (بروتتي) الأربع : شارلوت وإيميلي وبرانويل وآن ... ذلك البلد الذي عرفناه بعد نشر مذكراتهن الصغيرة . لقد كانت كل واحدة منهن تمثل فيه دوراً ، ولـم تتمكن اثنتان منهن الاستغناء عـن هذه المذكرات أبـداً .

٨ ـ الأشباح :

ان جعل ما لا يوجد أكثر حقيقة من الحقيقي نفسه مجازفة تغري كتاب الأطفال في أغلب الأحيان . وقد استطاعت أن تقوم بذلك (لوسي بوستن ـ ١٨٩٢ ـ ...) على أفضل وجه في سلسلتها المعروفة باسم « المعرفة الخضراء » بفضل رهافة مشاعرها وأحاسيسها وفطنتها النادرة ، كذلك نلاحظ أن كتب (فيليبا بيرس) المعاصرة ذات نبرة اكثر مباشرة وأعظم تقبلا لدى الأطفال . ففي روايتها الاولى « توم وحديقة منتصف الليل » نشعر ببعض السهولـة تنساب عبر سطور القصة .

ان المساكن الانكليزية القديمة مأهولة بالأشباح كما هـو معروف في الكتب . وقد رأينا (فيليبيا بيرس) تعود الى الماضي لتستكشفه وتستعين بمواهبها لتستثمر الكلمات الغامضة على الورق ، وتلجأ الى رسم الأشباح فتضع عليها الأقنعة ثم تعود فتزيل هذه الأ قنعة في روايتها الأولى . ان سحر هذه الرواية يسهل علينا القبول بها ، أما روايتها الثانية « كلب صغير جداً » فتزيل الخوف من القلوب ، انها مبنية على فكرة الحوار مع مرافق خفي لا يرى ، لذا ربما اعتبرت هذه المحاولة ناجحة بل ربما اعتبرت هذه الروايـة

أحسن رواية ألفتها للأطفال ، فالكلب ، في هذه القصة ، خيالي • لكنه مايلبث أن يصبح أكثر حضوراً واكثر حياة على الرغم من أنه لا يظهر للعيان أبداً • والنتيجة التي تحطم كل ارتباط مع المعجزة وتعيد القارىء الى عالمه المألوف ، لاتبدو لهذا القارىء مصطنعة أو مغالية ولا تخلق عنده الشعور بعدم الرضى كما يحدث غالبا ، ان الصعوبة كامنة في خلق التلاحم بين الخيالي والواقعي وفي الطريقة التي تتم فيها اعادة القارىء الى الارض ، وهذا ما نجح فيه الكتاب الانكليـز •

يزعم بعض المؤلفين أنهم قادرون علـى التغلب على هذه العقبة حـين يجعلون من حكاياتهم نوعا من الخرافة ويبثون بين سطورها الحكمة ، ثم لا ينسون ، في الوقت نفسـه ، أن يحذروا القارىء من مغبة الانقيـاد لسلطان الخيال ، والأمثلة على هذا الأسلوب عديدة ، نذكر منها مثلا رواية (آتتونيا فورست) الروائية الانكليزية المعاصرة ، تلك الرواية الغريبة التي تعرف باسم « غرفة بيتر » ، انها رواية وهمية الى درجة مؤسفة • وان قراءتها صعبة جداً بسبب غموضها، خصوصاً عند الأطفال الذين لاينتمون الى الطبقة البورجوازية الانكليزية الرفيعة التي كان أطفالها يحاولون أن يعيشوا مرة أخرى تجربة أولاد (آل برونتي) الخيالية ••• وهناك أمثلة أخرى عديدة انكليزية وغير انكليزية •

يرى بعض المؤلفين أن غموض القصص قد ينمي قدرات الخيال ، بيد أن الأطفال كثيراً ما يرفضون أن يخدعوا بغموض هـذه القصص وكثيراً ما يكشفون النقاب عنهـا ويفضحونها • مع ذلك نستطيع أن نزعم بأن هـذه القصص الغامضة تلائم سن ما قبل المراهقة • فالفتى ، في هذه الفترة ، لا يؤمن بالجنيات أبداً وان كان يريد ان يؤمن بها ، أما الاطفال الأصغر سناً فيمكـن

أن يسمح لهم بقراءة المغامرة ففي سن ماقبل المراهقة ترفض مخيلة الفتى كل لعبة محسوسة مرتبطة بالواقع ارتباطا مفتعلا . ولايكتفي الفتى بحوار ينطلق فيه السؤال ولا يلقى جواباً ، انه يرصد انعكاسات الآخرين واستجاباتهم رصداً قوياً ويدرسها ويحللها تحليلا منطقيا ليؤلف من ذلك كله فكرة رائعة أوشخصية بديعة يعتبرها وسيطاً ممتازاً بين الحقيقي والوهمي ، لذا كان على كاتب أدب الناشئة أن يطلع على علم نفس الطفل وعلم نفس المراهق ، هذه لقطة هامة لمعرفة نمو الطفل والمراهق .

من الكتاب الانكليز الذين عرفوا نفسية الطفل والمراهق كاتبة معروفة ذائعة الصيت في انكلترا مجهولة خارج بلادها . هذه الكاتبة هي (اديث ينسبيت) . عاشت بين عام ١٨٥٨ وعام ١٩٢٤ . اسمها الحقيقي غير معروف لدينا . و(اديث ينسبيت) هو اسمها المستعار ، وقد غلب عليها لأنها كانت توقع به مقالاتها الصحفية ورواياتها .

كل مانعرفه عنها أنها كانت تعمل في الصحافة . وكانت ذات نزعةاشتراكية وعضواً في جماعة الفابيين ، كتبت بعض القصص الساخرة للأطفال جمعت في مجلد واحد تحت عنوان « الباحثون عن الكنز » ونشرت في عام ١٨٩٩ فكانت سبباً في ذيوع صيتها .

في مؤلفاتها الموجهة للأطفال توازن نموذجي بين الواقعية والسحر ، أهم قصصها :

ـ الأولاد الخمسة	١٩٠٢
ـ النخلة والبساط	١٩٠٤

- قصة التعويذة ١٩٠٦
- القلعة الرائعة ١٩٠٧
- بيت آردن ١٩٠٨
- حظ هاردينغ ١٩٠٩

لقد كانت (اديث ينسبيت) تعرف ، بعد (لويس كارول) ، كيف تمنح الحياة ، في بعض رواياتها ، لكائنات غريبة وتفرض علينا الايمان بوجود هذه الكائنات : فبعض هذه الكائنات ينتفخ عندما يحقق الاماني ، وبعضها تطيعه الاشياء البيض ، وهناك العنقاء المتبججة أيضا ... وغير ذلك ، وان أطفال قصصها يملكون الموهبة فعلا . فهم ينسابون من غرف لعبهم الى العالم المضطرب ، لا عالم النزوات الخفيفة ، انسيابا طبيعيا وكأنهم يزدردون الحساء أو يقومون بنزهة في الغابة .

من روايات (إ . ينسبيت) الخيالية الرائعة : سلسلة « الأولاد الخمسة » و « بيت آردن » و « حظ هاردينغ » و « القلعة الرائعة » . وكلها قليلة الانتشار خارج بريطانيا والولايات المتحدة .

وهناك مؤلفة انكليزية أخرى اسمها (باميلا ترافيرز) وهي معاصرة . اشتهرت بكتابها « ماري زهرة المنثور » . يفضلها القراء الصغار لروعة وصفها لمغامرات هذه « الحاضنة ــ الجنية » ماري ، وقد أوحت بفيلم لـ «والت ديزني » . ان ما ابتدعته (باميلا ترافيرز) من استعداد النجوم للقتال ومن غاز مثير للضحك وغيرذلك ليدل على عبقرية ساذجة وأريبة في آن واحد ، كما أن شخصية الجنية الساحرة الحديثة التي اخترعتها مثيرة خصوصاً عندما نرى

قدرتها على اخفاء قواها الحقيقية واتخاذها مظهر الفظاظة والتزمّت الديني ، مع ذلك ، نجد في « ماري زهرة المنثور » كياسة المعجزة وسحرها ، لكننا نشعر فيها شعوراً ضمنياً برغبة المؤلفة في تحاشي بعض الأمنيات السخيفة أو السمجة التي قد يفضلها الأطفال على الابتكارات ، والسبب في ذلك أنها تحاول ابراز شعر الطفولة الذي يرضي عواطف الراشدين أكثر مما يرضي الأطفال أنفسهم ، أما عند (إ • ينسبيت) فالأمر على عكس ذلك • فالأبطال الصغار عندها هم الذين يقودون أحداث القصة ، وهم الذين يوجهون رغائبهم الحسية البسيطة بفاعلية نشيطة • الحصول على أجنحة ليطيروا بها مثلاً أو اكتشاف وسيلة ناجحة تجعلهم أجمل من النهار أو رغبة التخلص من أخ صغير مزعج •••

ان مخيلة هذه المؤلفة نشيطة جداً تساعدها علىالعثور علىالحل السحري الذي ينبثق بعد المرور ببعض المتاعب المسلية والمفرحة ••• والحل نفسه باعث على السعادة •••

إن (إ • ينسبيت) عالمة نفس ممتازة وفنانة متصفة بالعفوية والصفاء • ومنطق حكاياتها لا يسمح لها بأي تصنع أو تكلف لأنه منطق شريف نبيل يكاد يذهلنا في بعض الأحيان ، لقد بلغت حداً تستطيع معه أن تجعل اللعبة الحمقاء البسيطة تتذبذب بين الكابوس المخيف والإثارة الهزلية المفاجئة مع بقاء هذه اللعبة صبيانية تماماً • ولا ننس أنها قد تأخذ بعداً حزيناً كما تشهد على ذلك روايتها الجميلة « حظ هاردينغ » وروايتها الأخرى « القلعة الرائعة » •

ان البلدان الاجنبية ، مع الأسف الشديد ، تكتفي بالقاء نظرة عابرة

على الطبعة الشعبية لكتاب « ماري زهرة المنثور » وتتجاهل هذه المؤلفة الكبيرة . هذه هي أيضا حال السيدة (دوسيغور) المجهولة خارج فرنسا ... كأن هاتين المؤلفتين الأديبتين غذاء قومي خاص « مفلفل » حاد محرق لايمكن تصديره .

وأخيراً لابد من أن نذكر أن للمؤلفة (إديث ينسبيت) نقطة ضعف واضحة فلغتها و نبرتها قد شاختا كثيراً كما شاخت الأخلاق التي تصفها أي أخلاق البورجوازية الصغيرة الإدواردية .

يمكن أن نضيف الى الحكايات التي عرضناها حكايات أخرى والى المؤلفين الذين ذكرناهم مؤلفين آخرين . خذوا مثلا حكايات « مملكة نارنيا » التي كتبها (كليف ستابل لويس ١٨٩٨ ــ ١٩٦٣) وهي مشهورة جداً في انكلترا ! وتستحق مزيداً من الاهتمام أيضا وان كانت المخيلة فيها تلعب دوراً صغيراً . فلقد اضطر المؤلف فيها الى اللجوء الى مطالعاته في طفولته والى اقحام أقزام (الفولكلور) الجرماني وآلهة (الميثولوجيا) القديمة رغبة منه في انعاش « نارنيا » .

كان (ك . س . لويس) هذا أستاذاً للأدب الانكليزي في جامعة (أوكسفورد) ثم عمل في جامعة (كامبرج) . وكان مختصا بالقرون الوسطى وعصر النهضة . بدأ ينشر للأطفال منذ عام ١٩٥٠ حكايات « مملكة نارنيا » وهي عبارة عن سبع روايات . حصل على الرواية الأخيرة منها على جائزة (كارنيجي) . ترجمت بعض حكاياته الى الفرنسية . ولم تترجم الى العربية. فلا غرابة اذن ان نقول إنه كان يلجأ الى مطالعاته في الطفولة ودراساته التاريخية

وانه أقحم الأقزام الجرمانية وآلهة (الميثولوجيا) لكنـه تعمد الاستعانـة بأسلوب خفيف حيناً وقاسٍ حيناً آخر محاولاً أن يملأ حكاياته بالمفاجآت والأمور غير المتوقعة . كما أنه حاول استخدام قصص الجان لكن محاولته كانت غير موفقـة .

وقد تأثر بهؤلاء الكتاب الانكليز كتاب من جنسيات مختلفة من أمثـال (فرانك بوم) الامريكي (١٨٥٦ ــ ١٩١٩) صاحب سلسلة « مشعوذ الأوز » و (كارل ساندبورغ) الامريكي أيضاً (١٨٧٨ ــ ١٩٦٧) ومؤلف « حكايات روتاباغا » و (مارسيل آيميه) الفرنسي (١٩٠٢ ــ ١٩٦٧) مؤلف « حكايات القط المعلق » ....

وقد كان لهؤلاء المؤلفين فضـل على أدب الأطفـال في ناحيـة لم يكن المؤلفون الانكليز يعيرونها اهتماماً من قبل وذلك حين أدخلوا الى هـذا الأدب بُعد « السخرية » . وبذلك أضيف الى البعد الوهمي بعد جديد . ثم جاءت مرحلة جديدة سقطت فيها الحواجز واستبعد عالم الواقع وأصبح البطل نفسه كائناً وهمياً وظهرت فئـة من الشخصيات أطلق عليهـا لقب « بَيْنَ بَيْنَ » تمثل : رجل علم غريب الأطـوار ، أو عانساً معقـدة ... أي أنهـا تمثـل الشذوذ ... ويستطيع الأطفال أن يجدوا فيها محدثاً بارعاً يسهل التفاهم معه واللعب معه . وكل واحد من هذه الشخصيات يملك فردية خاصة به ويمكن أن يقوم بوظيفة اجتماعية على عكس الأبوين أو السيد المعلم أو السيدة المعلمة أو السيد المختار . قلنا ان مرحلة جديدة ظهرت سقطت فيها الحواجز واستبعد عالم الواقع . في هذه المرحلة أصبح البطل نفسه كائناً وهمياً أي أنه صار هـو

نفسه « بَيْنَ بَيْنَ » ... في هذه الأحوال يرتبط البطل بمظهر من مظاهر (الفولكلور) القومي . وهذا المظهر هو « الدمية » . الدمية التي تعامل معاملة الانسان والتي ابتدعها المؤلفون لنشر روح المرح بين الصغار تحدثهم وتضحكهم وتجرهم لمرافقتها في مغامراتها المرحة . وقد تعاقب لأنها ارتكبت حماقة . والغرابة التي نراها في هذه الحكايات هي غرابة ظاهرية طارئة وليست جوهرية أصيلة أي أن أحداثها مفتعلة تهدف الى اضحاك الأطفال من الأفعال الحمقاء والى دفعهم الى الابتعاد عن ارتكابها . وهذا النوع من الحكايات يخلب نفوس الأطفال ويشدهم شداً ويسليهم ويفيدهم في آن واحد .

٩ ـ الأقزام :

وبعد ذلك ظهرت نزعة جديدة ألمانية في أدب الأطفال مالبثت أن انتقلت الى انكلترا فلاقت قبولاً عند القراء الصغار الانكليز . وهذه النزعة تتمثل في الكتابة عن كائنات انسانية أو غير انسانية تملك قاسما مشتركاً هو : القامة القصيرة . هذه الكائنات تعيش حياة هامشية في عالم منعزل جديد يحتفظ بميزة الطفولة نفسها .

ومن أبرز الأعمال الأدبية الناجحة في ميدان « الأقزام » :

ـ « الهوبيت » الرواية التي ألفها (ج.ر.ر. تولكين) الانكليزي المعاصر .

ـ « مملكة القصار » كتبها (وولسون) وهو كاتب مجهول . والرواية ترجمت عن الفرنسية .

ـ « المقترضون » ألفتها (ماري نورتون) وهي انكليزية معاصرة •

ـ « آل مومين » كتبتها (توف جانسون) ـ وهي فنلندية معـاصرة •

وهذه الرواية الأخيرة تصف كائنات خارقة فعلا خلقتها رسوم بديعـة لاتضاهى وكتابة سلسة سهلة • وقد ساعد المؤلفة (توف جانسون) في نجاحها أنها كانت صحفية ورسامة في آن واحد •

وكلما ابتعدت هذه المخلوقات الغريبة المبتدعة عن أرض الواقع أصبحت لاتنتمي الى شيء معروف • وهذا الموقف يدفع الأطفال الى التساؤل عن طبيعة هذه المخلوقات التي تتصرف كما يتصرف الأطفال وهي بعيدة عنهم لكن سلوكها يتصف بالمرح والحبور : هل هي أطفال مثلنا ؟ أم أنها حشرات؟ أم أبناء عفاريت؟ أم فئران ؟ مع ذلك يلاحظ الأطفال أن المغامرة التي تقوم بها هـذه الكائنات القصيرة مألوفة لديهم لأنها تشبه مايجري في حياتهم اليومية •

حتى السحر أو الشعوذة لايلجأ اليهما الا للحصول على شيء واقعي !•

ان القضية الكبرى في رواية « آل مومين » لم تكن أبداً ولوج صديقة مسكونة بالجن بل كانت البحث عن محفظة اليد التي فقدتها الأم (مومين) • وان وجه البطل الصغير يزيد من حدة الأحداث الدقيقة ويدفع نحو مزيد من التفصيلات •

وقد رأى بعض الناقدين والمفكرين أن هذا هو عالم الطفولة الحقيقي••• اذ ربما قارن الأطفال أنفسهم بالراشدين ورأوا أنهم أقزام أمام هؤلاء الراشدين وأن الراشدين عمالقة أمامهم • لذا كأن المخيلة هنا تلاحظ ماهو ماثل أمامها

في العالم الحسي ، عالم الصغار قبل كل شيء ولا تحلق نحو المستحيل .

ان ما حللناه آنفاً يفسر لنا سبب ابتعاد أدب الأطفال عن ميدان « الخيال العلمي » وعدم نجاحه فيه ... اللهم الا اذا استثنينا بعض المحاولات المتفرقة في الاتحاد السوفياتي وفي الولايات المتحدة الأمريكية .

وأخيراً ان قصص الأقزام والدمى تلعب دوراً هاماً في انتزاع الانسان من وطنه ومن جذوره بسبب غموض بعض تفصيلاتها وصعوبة تشبيهها بالكائنات الحقيقية خصوصاً فيما يتعلق بالسلوك والمهارة .

١٠ ـ الخاتمة :

ولما بدأت ظروف حياة الأطفال بالتبدل أخذت الحواجز التي كنت تفصل عالم الراشدين عن عالم الأطفال تنهار وتسقط . وها نحن نرى اليوم هذا التبدل أمام أعيننا .

من المؤكد أن أدب الأطفال في انكلترا ما زال يعرف كيف يحرك تلك الشعوذات الوهمية . لكن الأطفال الانكليز في أيامنا هذه غير الأطفال الانكليز في العهد الفيكتوري . انهم لم يعودوا يعيشون في نظام الحضانة التقليدي . ولم تعد هناك حاضنة أو مربية ترعاهم . كما أنهم لم يعودوا خاضعين لنظام العبودية أو التبعية لمن هم أكبر منهم في المدرسة . لكنهم يقرؤون عن كل ذلك في كتب الراشدين . لذا فان الحدود بين عالم الطفولة وعالم الرشد أخذت تزداد ضيقاً واضطراباً . ولم يعد يدهشنا أن نرى الأطفال ، في وقتنا الحاضر ، وقد شرعوا يعبرون عن بعض الصعوبات التي تعترض دخولهم في العالم

الوهمي . وهذا ما دفع أدب الأطفال الى أن يبحث عن موضوع جديد ويفتش عن مادة جديدة يستمد وجوده منهما شيئاً فشيئاً . وقد وجد هذا الموضوع وتلك المادة في الحياة العائلية والجماعية . اذ أنه ، لكي يكون مجدياً لابد من أن يرتبط بخبرة حية ...

بكلمة أخرى ، اذا كان أطفال العصر الفيكتوري ، في انكلترا ، يعيشون تجربة العزلة والخضوع فليست هذه حال أطفال اليوم أبداً . كذلك ينبغي أن نلاحظ أن المغامرة الوهمية تترك وراءها ، بصورة حتمية ، انطباعاً بعدم الرضى عند الطفل لأن الطفل يدرك تصنع الراشدين وتكلفهم . ونستثني هنا ، بطبيعة الحال ، (لويس كارول) الذي يظل حالاً فريدة . كما نستثني بعض كتب (اديث نسبيت) التي تفاجئنا بل تدهشنا بوصف حياة الحضانة التي تدور وراء « ثقب القفل » . هل تعتمد معظم تلك الحكايات على تأويل مفتعل أو على تفسير غير صحيح للحاجات الحقيقية الى الوهمي عند الأطفال ؟ ونحن نعرف أن من جملة الحاجات الحقيقية عند الأطفال حاجتهم الى الوهمي الخيالي. الواقع أن الخوف من الحقيقي وصعوبة مواجهة العالم كما يبدو للطفل يفترضان بالضرورة ارادة الاشاحة عنه . فاذا كان الطفل يتقهقر أمام الاتصال المباشر بالواقع الحسي ، واذا كان يضع بين نفسه وبين هذا الواقع الحسي وسيطاً متواضعاً ومطمئناً فليس ذلك لأنه يريد الفرار منه . بل العكس هو الصحيح . فالطفل ، عندما يلعب ، يميل الى الاقتداء بالواقع . وقد لعب الأطفال مع الواقع دائماً . بل ان ألعابهم ، في بعض الأحيان ، أشد واقعية من الواقع نفسه . انها ألعاب بريئة ساذجة مألوفة كما هي الحال في « المساومة

التجارية » أو « عملية البيع والشراء » أو التجارب الانسانية التي لايستطيع الصغار التعبير عنها تماماً مثل لعبة « بابا و ماما » و « لعبة الحرب » . فلم تكن هذه الألعاب لتعارض الواقع أبدا . والأطفال يميلون الى ممارستها والسيطرة عليها كما يميلون دائماً الى تكييف مفاهيم الراشدين مع تصوراتهم العقلية ...

لذا فنحن نختتم هـذا البحث الواسع بتوجيه بعض النقـد للكتب التي درسناها على الرغم من كل ما وجدناه فيها من غنى وثروة أدبيـة . ان السمة المشتركة بين هذه الكتب جميعاً ، وبصورة خاصة كتب (ينسبيت) التي وجـه اليها كثير من التقريظ ، تكمن في الموضوعية المتعمدة المقصودة التي تحاول أن تنسبها الى نفسها . ان هذه الكتب ، بكل تأكيد ، تصف الشخصيات والأحداث الغريبة . لكنها لاتفرط في هـذا الوصف . كما أنها لاتحـاول أن تصل الى « شعر الطفولة » أي أنها تكتفي بأن تتيح الفرصة لمخيلة الأطفال كي تقـوم بالتوفيق بين الحقيقي والوهمي متجنبة منح الأفضلية لأحدهما على الآخر . وكأن هذه الكتب لاتحاول أن تدخل في طريق شائكة لأن الخطر يربض دائماً في اطلاق أحكام القيم .

من الأدب الفارسي

مختارات من شعر جلال الدين الرومي

ترجمة وتقديم يوسف اليوسف

مقدمة

صدق من قال : الشعر هو ما يضيع بالترجمة . ومما يزيد الطين بلة أن هذه القصائد لم أترجمها عن الفارسية ، لغة جلال الدين الرومي (المتوفى عام ١٢٧٣ م) ، بل ترجمتها عن الانجليزية . وهذا يعني أنها مرت بقناة التحويل مرتين . فقد وصلت الى يدي ـ بمحض الصدفة ـ مجموعة صغيرة من القصائد المختارة لجلال الدين مترجمة الى اللغة الانجليزية . وربما كان المسوّغ الوحيد للاقدام على ترجمة بعض قصائد تلك المجموعة هو أن من اختارها وقدم لها وترجمها الى لغة الانجليز مستشرق كبير يقر له الجميع بالفضل وعلو الكعب . وليس هذا العلامة سوى رينولد نكلسون الغني عن التعريف .

* * *

ولد جلال الدين الرومي ، الذي يسمى المولوي أحياناً ، في مدينة بلخ عام ١٢٠٧ م ولكنه قضى معظم حياته في قونيا . ويصرح جده لأبيه أنه ينتسب الى أبي بكر الصديق .

غادر قونيا في صدر شبابه ليعيش ردحاً من الزمن في دمشق وليتتلمذ على فيلسوف الصوفية محي الدين بن عربي • ثم عاد الى قونيا من جديد بعد وفاة ابن عربي ليتعرف هناك على قطب صوفي كبير هو شمس الدين التبريزي الذي ترك أعمق الآثار في شخصية جلال الدين ، فكان أن جاء واحد من أعظم مجموعاته الشعرية حاملا لهذا العنوان : « ديوان شمس تبريز » • أما ديوانه الكبير الآخر ، وعنوانه « المثنوي » ، فقد اعتاد أن يسميه « كتاب حسام »، وحسام هذا واحد من المع اتباعه • ولجلال الدين كذلك مجموعة من الرباعيات • بيد أن أفضل أعماله هو « ديوان شمس تبريز » ، الذي تسوده روح غنائية وانفعالية خصيبة ، فهو أدخل في مملكة الروح من في مملكة الذهن •

لقد اعتاد تلاميذه أن ينادوه بلفظه « مولاي » التي تصبح في التركية « مفلفي » ، وقد تحولت هذه اللفظة الأخيرة في العربية بحيث أصبحت « مولوي » ، ومنها المولوية ، مدرسة جلال الدين التي تعتمد في التصوف على الموسيقى والرقص •

لعل المصدر الأول في التعرف على سيرة جلال الدين هو تلك القصيدة السردية المطولة التي كتبها ابنه سلطان ولد تحت هذا العنوان : « ابتداء نامة » ، أو كتاب الابتداء ، حيث يسرد الابن وقائع حياة أبيه ، ولا سيما صلته بشمس تبريز •

ويزعم المستشرقون أن جلال الدين هو أكبر شعراء الصوفية • وربما صدق هذا الرأي على حركة الشعر الصوفي في ايران ، ولكنه لا يصدق على

الشعر الصوفي جملة • ففي رأيي الشخصـي أن شعر جلال الدين المكظوظ بالمصطلحات الصوفية ذات الطابع الفلسفي ، وبالتشبيهات المادية الصوفية ، مما يفقره نسبياً من سمة الوجد الروحاني ، أقول ان هذا الشعر لا يرقى الى مصاف شعر ابن الفارض الذي ينزع نزعة جمالية مقومها الأساسي طراء الروح وغضارة القلب البشري ، ان الشعر الفارسي جملة ،بما فيه تيارة الصـوفي ، يظل يفتقر بعض الشيء الى تلك الشعلة القلبية السرية التي تصنع الجودة أو المزية لشعر العرب التراثي • فبينما نلاحظ أن جلال الدين أقرب الى الفيلسوف منه الى الشاعر ، فاننا نلاحظ أن ابن الفارض ليس الا امتدادا لحركة الغزل العذري المؤسسة على الشعور النبيل • ففي وسعي أن أنعت «التائية الكبرى» لابن الفارض بأنها ملحمة الجمال ، ملحمة القلب البشري في تواحده مـع المطلق ، الذي يفقده هذا التواحد الكثير من تعاليه • فبينما يمكن القول بأن قراءة النثر الصوفي ، ولا سيما « الفتوحات المكية » ، تغني عن قراءة جلال الدين الرومي ، ولو اغناء نسبياً ، فإن ما من شيء قط يمكن أن يغني عـن قراءة « التائية الكبرى » ، إذ لا شيء يغني قراءة شاعر أصيـل ، حتى ولا شاعر أصيل آخـر •

وأيا ما كان الشأن فإن جلال الدين الرومي شاعر كبير ، غلى الرغم مـن منظومة المصطلحات والمفاهيم الصوفية التي تملأ اتناجه • وربما أمكن القول بأنه أفضل من صاغ المفاهيم الصوفية شعراً منظوماً ، ولو أن الشعر العظيم لا يتعامل مع المفاهيم تعاملاً مباشراً •

بقي أن أنوه بملاحظة جديرة بالتنويه ومفادها أن جلال الدين الرومي

قد ترك آثاراً واضحة على الشاعر الانجليزي ، وليم وردزورث ، زعيم المدرسة الرومانسية ، ولا سيما على قصيدته الكبرى ، « علائم الابدية » التي تحمل الكثير من ألفاظ جلال الدين وأفكاره وشذارته التصويرية . وهذا ما قد يكون موضوعاً للمقارنة بين الشاعرين في المستقبل .

النضج هو الكل

لما كنت عاجزاً عن إطاقة النور المكشوف ، فلتشرب كلمة الحكمة ، لأن نورها محجب .

اكرعها الى أن تغدو قادراً على استقبال النور ، وعلى أن تبصر دون حجب ماهو مخبوء الآن .

وأن تعبر السماء كنجمة ، لا ، اني أريد لك رحلة غير مشروطة ، رحلة دون سماء .

إذ هكذا أتيت من الوجود الى اللا وجود .
كيف أتيت ؟ لقد جئت بطريقة لا معقولة .
دروب مجيئك لاتتذكرها ، ولكنني سوف أسدي لك نصحاً .
دع عقلك يذهب ، ثم كن عاقلا ! أغلق اذنيك ثم أصخ السمع !.
لا ، لن أقص عليك ، فأنت مازلت فجاً ، إذ ما فتئت في ربيعك ولم تر الصيف بعد .
هذا العالم أشبه بشجرة ، ونحن عليها ثمرة نصف ناضجة .
الثمار الفجة تلتصق بالغصن لأنها لم تتهيأ للعصر بعد .

ولكنها حين تنضج وتغدو حلوة ولذيذة .

بعد ذلك تقطع صلاتها بالغصن .

وعلى النحو نفسه ، تفقد مملكة العالم طعمها في الثغر المحلى بهناءة الغبطة .

ثمة ما لا يحكى ، بيد أن روح القدس سيحكي لك دون أن يتخذني وسيلة .

كلا ، بل أنت ستحكيه لأذنك الخاصر لا أنا ولا سواي ، أنت يا من تتواحد وإياي تماماً مثلما أنك حين تغفو تذهب من حضرة نفسك الى حضرة نفسك .

وتسمع من نفسك ما تظنه يسرد على مسامعك سراً في الحلم .

فيا صديقي الطيب ، لست « الأنت » المفردة : إنك لأنت السماء واليم العميق .

و « الأنت » اللا متناهية القديرة التي تخصك هي البحر الذي تغوص فيه حوريات « الأنتم » .

لاتفه بكلمة كي يمكنك أن تسمع من المتكلمين ما لا يمكن أن يُنطق أو يوصف .

لاتفه بكلمة كي يمكن للروح أن يتكلم اليك : ففي سفينة نوح عليك أن تكف عن السباحة !.

الحب الكوني

وحين يُقذف ومض الحب في هـذا الفؤاد ، فاعلم أن الحب عـارم في ذاك الفـؤاد •

وعندما يضيء حب الله في قلبك ، فالله ، دون أدنى ريب ، يكن لك الحب•
فما من تصفيق يصدر عن يد واحدة دون الأخرى •

والحكمة القدسانية في المصير والعقيدةصنعتنا بحيثيعشق أحدنا الآخر•
وبفعل ذلك الترتيب المسبق كان كل جزء من أجزاء العالم مقروناً بزميله •

ففي نظر العاقل ، السماء هي الرجل والأرض هي المرأة : فالأرض تربي ماترميه السماء •

حين تفتقر الأرض الى الحرارة فان السـماء ترسلها ، وحين تكون قـد أضاعت رونقها ورطوبتها ، فالسماء تسترجعها •

السماء تسعى كزوج يكدح من أجل زوجته •

والأرض منهمكة بما تنهمك به الزوجة : انها تلتزم بانجـاب وإرضـاع ماتحمل في رحمهـا •

فالأرض والسماء مزودان بالعقلانية ، إذ هما يفعلان فعـل الكائنـات العـاقلة •

فما لم يذق هذا التوأم اللذة ، أحدهما من الآخر ، فلماذا يزحفان معـاً كعشـيقين ؟

وبغير الأرض ، كيف يمكن للزهرة والشجرة أن تتفتحا ؟
وماذا يمكن لماء السماء وحرارتها أن ينتجا ؟

فكما وضع الله الرغبة في الرجل والمرأة بحيث يمكن للعالم أن يصان باتحادهما ، كذلك غرس في كل جزء من أجزاء الوجود الرغبة في جزء آخر .

الليل والنهار عدوان ، لدى النظرة الخارجية : ومع ذلك فان كليهما يخدمان غرضاً واحداً ، فكل منهما عاشق للآخر ابتغاء تكميل شغلهما المشترك .

بغير الليل لن تستقبل طبيعة الانسان أي دخل ، وبذلك لايبقى شيء ينفقه النهار .

والنفس تقول لأجزائها الأرضية الدنيئة : «منفاي أمر من منفاك ، فأنا سماوية» .

والجسد يرغب في الأعشاب الخضراء والمياه الجارية ، لأن أصله من هذه الأعشاب وتلك المياه .

والنفس تعشق الحياة والواحد الحي ، لأن أصلها النفس اللامتناهية .

رغبة النفس باتجاه الصعود والرفعة،ورغبةالجسد باتجاه الثروة ووسائل الانغماس الذاتي .

وتلك الرفعة ذاتها تتعشق النفس وترغب فيها ، تأمل قوله تعالى : « يحبهم ويحبونه » .

فالمسألة هي أنه حينما يبحث أحدهم ، فان نفس المبحوث عنه ترغب فيه ،

ولكن رغبة العاشق تجعله منهكاً ، أما رغبة المعشوق فتجعله جميلاً ووسيماً .

فالحب ، الذي يؤلف وجنة المحبوب ، يستهلك روح العاشق .

الكهرمان يحب القشة دون أن يريد شيئاً في الظاهر ، بينما تحاول القشة أن تتقدم على الدرب الطويل .

النفس الصاعدة

مت معدناً وغدوت نبتة ،
ثم مت نبتة ونهضت حيواناً ،

ومت حيواناً فكنت انساناً .
ففيم أخاف ؟ متى قلل الموت من شأني ؟

فلسوف أموت إنساناً مرة ثانية ،
وذلك كي أحلق مع الملائكة الأبرار ،

وفوق ذلك سوف أعبر الملائكية :
الكل فان خلا الله .

وحين أكون قد ضحيت بنفسي الملائكية .

سوف أغدو ما لم يره عقل .

آه ، دعني أتلاشى ! لأن اللاوجود .

يعلن بأنغام موسيقية : « اليه سوف نعود » .

عالم الزمن

في كل آنة تموت وتبعث. « ما هذا العالم الا برهة » ، كما قال الرسول.
وما فكرنا الا سهماً أطلقه الله . كيف يسعه أن يظل في الهواء ؟
فلا بد له من أن يقفل عائداً الى الخالق .
ففي كل آنة يتجدد العالم ، ونحن لا نعي تغيره الأبدي .
والحياة تتدفق دوماً بطزاجة ، مع انها في الجسد تشبه الاستمرار .
فبسبب من سرعتها تبدو مستمرة كالشرارة التي تقدحها بيدك .
الزمن والديمومة ظاهرتان تنجبهما سرعة الفاعلية الآلهية ،
كجمرة ، حين ندوّمها بحذق ، تخلق مظهر خط طويل من النار .

المطلق

اللا وجود وليس الا نحن ووجودنا : انك لأنت المطلق .
متبدياً في زي الآنية .
مايحركنا هو كرمك (يا أيها الله) : فكينونتنا كلها من صنعك .

لقد أبديت جمال الكينونة للاكينونة ، بعدما جعلت اللاكينونة تعلق في حبك .

لاتحرمنا بهجة كرمك : لاتحرمنا فاكهتك ونبيذك وكأسك !.
ولكن ، لئن حرمتنا هذا كله ، من يجرؤ على الاعتراض ؟.
أو تقتتل الصورة مع الرسام ؟.
لاتنظر الينا ، بل انظر الى لطف حبك وكرمك !.

كنا عدماً : فلم يكن لنا الحق في أن نطلب شيئاً • ومع ذلك فان لطفك قد سمع صلاتنا الصامتة فنادانا الى الوجود •

ففي المحكمة الالهية ، الكل عاجز كسجادة أمام الابرة •

طوراً يصنع الله صورة للشيطان ، وطوراً الآدم ، مرة يرسم الفرح ومرة يرسم الأسى •

ما من أحد يملك أن يرفع يده محتجاً ، وما من أحد يجرؤ على أن يفوه بكلمة تملك أن تنفع أو تضر •

روح الكون

أية عوالم مستورة تتدحرج داخل خضم العقل •
الواسـع المحيق بكل شيء !

أشكالنا تطفو هناك أشبه بالأكواب ،
فقط لتملأ وتغوص فلا تترك خلفها •
أي رذاذ من فقاعات البحر يتجه نحو الأعلى •

الروح الذي لاتملك أن تراه ، انه يقترب كثيراً •
!كرع من هذه الحفرة ! لا تكـن جرة •
مشحونة بالماء ، وشفتها حجرية اليباس ،
أو خيالاً محمولاً الى البعيد دون وعي منه ،
فلا يرى الجواد الذي تحت فخذيه •

الدرب السلبية

في حضور التركي الثمل ، أخذ المطرب يتغنى بالميثاق الذي أقيم في الابدية بين الله والنفس •

« لست أدري ما إذا كنت قمراً أو صنماً ، ولست أدري ماتريد مني ، ولست أدري أية خدمة أسديها اليك ، أو ما اذا كان عليّ أن أصمت أو أن أعبر عنك بالألفاظ •

ومن العجيب أنك قريب مني ، ومع ذلك ، أين أنت ، وأين أنا ، لست أدري » •

وأخيراً قفز التركي غاضباً وهدده بقضيب حديدي •

« أنت أيها الأبله الأحمق ، أخبرني عن شيء تعرفه ، وإذا لم تكن تعرف شيئاً فلا تتحدث عن السخافات » •

فقال المغني : « لم كل هذا الصخب ان معناي خفي » •
ما لم تنكر كل شيء آخر ، فان اثبات الله سوف يظل يفلت من قبضتك :
انني أنكر لكي تجد دربك الى التوكيد •

انني أعزف لحن النفي : وحين تموت فان الموت سيكشف لك المستور ـ لا الموت الذي يأخذك الى القبر الحالك ، بل الموت الذي ينقلك ويولجك في النور •

أيها الأمير ، وجه القضيب الى نفسك ،
شطر الأنانية الى أفلاذ •

زواج العقول الحقة

سعيدة برهة جلوسنا في القصر ، أنت وأنا ،
بشكلين وهيئتين ، ولكن بنفس واحدة ، أنت وأنا •
الوان الحرج وأصوات الطيور ستمنحنا الخلود
لدى وصولنا الى الحديقة ، أنت وأنا •
نجوم السماء سوف تأتي كيما ترنو الينا :
ولسوف نريهم القمر بالذات ، أنت وأنا •
أنت وأنا لن نظل فردين ، اذ سوف نمتزج بالنشوة ،
مسرورين وخالصين من الثرثرة البلهاء ، أنت وأنا •
وجملة طيور السماء اللامعة الريش سوف تلتهم قلوبها حسداً
في المكان الذي سوف نضحك عنده بهذه الطريقة ، أنت وأنا •
وتلكم هي الأعجوبة العظمى ، أنك وإياي نجلس في ركن واحد ،
ونكون في الوقت نفسه في العراق وخراسان ، أنت وأنا •

الحياة الارضية

أيتها النسخ الفقيرة عن أصالة السماء ،

أيتها الصور الأرضية الشاحبة المتفسخة حتى التلف ،

أي ضير في أن جمالك يتهشم ويتهاوى ،

طالما أن الذي أعطاك الحياة يستمر الى الأبد ؟

❊ ❊ ❊

لاتزعج قلبك بالأسى الخانق :
الحوار العلوي الذي يخلب الأذن المبتهجة ،
والمشاهد الطبيعية الموشاة والألق الباسل
آيـل الى التلاشي .
انه يموت ، ولكن الأمر ليس كما نخشاه .

❋ ❋ ❋

بينما تمطر النوافير الحية في البعيد ،
فان كل جدول صغير يرجع طافحاً الى الينبوع .
وبما أن الجدول والنافورة لايملكان الموت الى الأبد ،
فلكم هو من الغباء أن تجزع ، ولكم هو من العبث أن تنوح .

❋ ❋ ❋

ما هذه النافورة ، أيمكنك حقاً أن تعرفها [1] ؟
انها النفس حين تنفث المخلوقات طراً .
لا ريب في أن الأنهار لن تكف عن الانسياب
الى أن تصمت الينابيع الآبدة .

❋ ❋ ❋

---

١ ـ النافورة كناية عن الحياة وعن التجدد الابدي للوجود . وبما أن الصوفية يطابقون بين الله والوجود ، فان النافورة هنا هي الله نفسه ، الله الذي تنبثق منه الموجودات برمتها . والبيت الثاني في هذه الفقرة يوضح ذلك .

ودّع الأسى ، وبعقل هادىء
اكرع طويلاً وعميقاً : دع الآخرين
يحسبون القناة التي يجدونها فارغة ،
أو يقيسون ذلك الجدول الذي لا يقاس[1] .

❋ ❋ ❋

آن أتيت الى هـذا العـالم ،
انتصب سُلم بوسعك ارتقاؤه ،
وفي البداية صعدت خطواتك ، التي ثابرت على الصعود ،
من المعدن الى النبات ، ثم تابعت العليان
حتى الوجود الحيواني ، وبعد ذلك صرت الانسان
ذا المعرفة والعقل والعقيدة .

❋ ❋ ❋

أيـة محجـة عجيبة !
هذا الجسد بدأ كومة من التراب ـ
ما أجمل تقويم هذا الكل المجمل !
ومع ذلك ، لا تتوقف الرحلة في هذه المحطة :
لسوف تغدو ملاكاً لامعاً ذا بيت في السماء .

---

١ ـ القناة الجافة هي الحياة الارضية التي لا معنى لها في نظر الصوفي ، اذ هي منفاه الذي يباعد بينه وبين الموطن الاصلي . أما الجدول الذي لا يقاس فهو الوجود العصي على الفهم .

فغذّ السير ، وتوغل أخيراً في البحر العظيم
فإن قطرتك الصغيرة ستجعل المحيطات السبعة
سبعة أضعاف .

❊ ❊ ❊

« أين الله » كلا ، لا تقل هذه الكلمة ،
بل قل « الله الواحد ، المحض ، الحق ، الحق المفرد »
فأي ضير في أن يذبل اطارك ، ويشيخ ويموت ،
طالما أن النفس تصون شبابها الأبدي الطازج ؟

❊ ❊ ❊

الحب في الغياب

كيف لا ينبغي أن أحزن ، كالليل دونما نهار ، ودرن ملامح نهاره المضيئة ؟
مرارته حلوة في نفسي : فلتكن نفسي أضحية للمحبوب الذي يحزن قلبي!
اني أتعشق الأسى والألم ابتغاء مرضاة مليكي المنقطع الأنداد .
لآليء هي النجوم التي أذرفها من أجله ، ولو حسبها الناس دموعاً .

واني لأشكو من نفس نفسي ، ولكني في الحقيقة لا أشكو : بل اتكلم فقـط .

يقول فؤادي أن المحبوب يعذبني ، وأنا ، منذ زمن طويل ، أهزأ بادعائه الفقـير .

امنحني الحق ، يا مجد الاستقامة ، أنت المنصة
وأنا عتبة بابك .
أين العتبة والمنصة في الواقع ؟
اين المحبوب ؟ اين « النحن » و « والأنا » ؟

أنت يا من تحررت نفسك من « النحن » و « الأنا » ، أنت يا ماهية الروح في الرجال والنساء ،

حين يغدو الرجال والنساء كائناً واحداً ، فأنت ذلك الواحد ،
وحين تمحي الأجزاء ، فأنت الوحدة .

لقد ابتكرت « الأنا » و « النحن » كيما تلعب لعبة العبادة مع نفسك، إذ كل « أنا » وكل « أنت » يمكن أن تغدو نفساً واحدة وأن تنغمس أخيراً في المحبوب .

اعتذار ابليس

في البدء كنت ملاكاً : وبنفسي كلها خلال الدرب منذوراً لخدمة الرب .

كيف يمكن للاسم الأول أن ينسى ؟ كيف يمكن للحب الأول أن يتلاشى من فؤاد المرء ؟

ألم تكن يده المضياف هي التي أنقذتني ؟ ألم يكن هو الذي أنهضني من اللاوجود ؟

من قدم لي الحليب في إبان طفولتي ؟ من مهد لي المهد ؟ انه هو .

الطبيعة المنسابة مع الحليب ــ أيمكن لها أن تنفى ؟

كرمه ولطفه ومحبته هي الجوهر الحقيقي لدرهمه ، أما غضبــه فمجرد لطخة من الأشابة على ذلك الدرهم •

لا آبه بغضبه ، إذ هو مسألة موقوتة • إني لأطمع برحمته السابقة أزلاً •

هب أن الحسد كان دافع رفضي للانحناء أمام آدم ، مع ذلك فان هــذا الحسد قد انبثق من محبة الله ، وليس من العصيان •

الحسد كله ينبثق من الحب ، خوفاً من أن يصير الآخر رفيق المحبوب •

فتنميه الغيرة هي النتيجة الحتمية للحب ، تماماً مثلما أن عبارة «يرحمك الله» ينبغي أن تلحق العطاس •

فطالماأنه لم تكن ثمة حركة الا هذه على رقعة شطرنجه ، وطالما أنه أمرني باللعب ، فأي شيء آخر كان فعله في ميسوري ؟

لقد لعبت اللعبة الوحيدة الممكنة ، وقذفت بنفسي في الأسى •

وحتى في الأسى أتذوق مباهجه : إنــي لمصطحب به ، مصطحب به ، مصطحب بــه •

ملاحظـة :

صلح المتعارضات مقولة اساسية في الفلسفة الصوفية . ولهذا جاءت هذه القصيدة للتوسط بين الله والشيطان . واللافت للانتباه أن التسويغ الجدلي الذي قدمه الشاعر لعصيان ابليس ربه يتلخص في ان ذلك الملاك المتمرد قد رفض الركوع لآدم خوفا من أن يصير أبو البشر أثيرا عند الله فيفقد ابليس حظوته عند الكائن الازلي . أي أن حبه لك وغيرته عليه هما الدافع الذي حثـه على الرفض . وبما أن ابليس مازال يحب الله فانه في وحدة معه ومتصالح واياه . والاهم من ذلك ان الضرورة هي التي املت عليه اتخاذ موقف العصيان ، بل هو انما عصى ربه بناء على ارادة ربه .

الموروث والبصيرة

الأذن وسيط ، والعين عاشقة تتواحد مع المحبوب ،
للعين الغبطة الفعلية ، أما الأذن فليس لها الا الألفاظ الواعدة بالغبطة •

في السماع ثمة تحويل للسمات ، أما الرؤية ففيها تحويل للماهية •
فلئن كانت معرفتك بالنار قد أخذت من الألفاظ وحدها ،

إذن ، حاول أن تطهى بالنار !
مامن يقين حدسي إن لم تحترق :

ولئن رغبت في ذلك اليقين ،
عليك أن تجلس في النار •

حين تكون الأذن لماحة ، فانها تغدو عيناً ،
والا وقعت الألفاظ في الفخ
ومنعت من ولوج الفؤاد •

اغنيــة القصبة

أصخ السمع لهذه القصبة الأسيانة ،
تنفث منذ أن قطعت
من مهادها المندفع
نغم حب وألم مشبوبين •

* * *

« سر أغنيتي ، مع انه قريب ،
ليس ثمة من يملك أن يسمعه او يراه .
آه ! أنى لي بصديق يدرك الاشارة
ويمزج نفسه كلها بنفسي !

* * *

إنها شعلة الحب هي التي الهبتني
انه نبيذ الحب هو الذي ألهمني .
أتود أن تعرف كيف ينزف العشاق ؟
اصغ ، إذن ، اصغ للقصبة ! »

ملاحظة :

تقوم هنا بين القصبة ، او القيثارة ، وبين النفس مماثلة واضحة . فالقصبة اجتثت من مهادها وأخذت تنفث الحانها نواحا على هذا المصاب ، والنفس البشرية اجتثت من موطنها الازلي وقذف بها في المنافي الارضية الغريبة عن طبيعتها ، فاخذت هي الاخرى تنوح الما على فراق مهادها القديم .

رُؤيـــة شرقيـــة

أشعار يابانيـــة

ترجمة عدنان بغجاتي

ملاحظات حول الهايكـو

الهايكو ضرب من الشعر المقتضب الرقيق ينظمه الشعراء اليابانيون منذ مئات السنين • وهو قصيدة تتألف من سبعة عشر مقطعاً في ثلاثة أبيات (البيت الأول والثالث خمسة مقاطع والبيت الثاني سبعة) •

تتضمن قصيدة الهايكو غالبا اسم فصل من فصول السنة أو قرينة تدل على هذا الفصل • وبمقطع أو أكثر يجعل الشاعر قارئـه يستحضر الطقس وأوراق النبات وحياة الطيور والحشرات ويوقظ فيه المشاعر التقليدية تجاه الطبيعة والفصول •

من أبرز شعراء الهايكو باشو (١٦٤٤ ــ ١٦٩٤) وعلى يده تمت بلورة هذا النوع • وقد كان باشو أحد اتباع مذهب زن البوذي الذي يؤمن بالهوية المشتركة لاشكال الحياة • وقد تجلى في شعره ذلك الإدراك الجذل لتلك الفلسفة الصوفية والقدرة الخاصة على تحويل الأشياء الدقيقة المحيطة بـه الى شعر •

أحبه تابعوه ومن خلفه من الشعراء ونهجوا نهجه مما ساعد على تخليد

فلسفة زن وبقاء أثرها في شعر الهايكو الى زمن متأخر •

يلي باشو بوسون (١٧١٥ ــ ١٧٨٣) ويقف معه على قدم المساواة في الصنعة والحذق وان كان أكثر ثقافـة وتحرراً • ويأتي ثالثـاً إيسا الحزين (١٧٦٣ ــ ١٨٢٧) الذي أصابه القدر بفقد أبنائه • وربما كان إيسـا أقـل شاعرية من سابقيه الا انه أكثر قربا الى القلب • وشعره الدامع عن أبنائـه الموتى وأصدقائه الصغار من الحشرات من عيون الشعر المؤثر •

بدهي أنه من المستحيل ترجمة الهايكو ترجمة دقيقة محكمة • ذلك أن الهايكو زاخر بالاقتباسات والتلميحات والتوريات والمعاني المزدوجة إضافة الى ان لغة الهايكو كما يحدث بذلك الذين يعرفون اليابانية أقرب ما تكون الى الصياغة البرقية فهي لا تستخدم أدوات الربط ولا تبين زمن الفعل ولا توضح الضمائر أو دلالات المفرد والجمع •

ترجمت هذه الأشعار عن الانكليزية عن المجموعة التي قام بترجمتها عن اليابانية بيتر بيلنسون طبعة بيتربوبو ــ نيويورك • وقد نشرنا نماذج منهـا في مجموعة وفي الموقف الأدبي والمعرفة تحت الاسم نفسه « رؤية شرقية » •

أخيراً لا يتوقع من الهايكو أن يكون واضحا وضوحا كامـلا ولذلك يفترض بالقارىء أن يضيف الى النص بعضا من تداعياته وتصوراته الخاصـة مما يساعد على تحقيق الاستمتاع بهذا النوع من الشعر بحيث يكون القارىء شريكاً أو نظيراً للشاعر • وهذا ما يأمله المترجم •

وأنا أتلــو الآيــات ...
ما أغرب ما أجــد
في تلك الزرقة الرائعــة
من أمجــاد الصبـــاح

كيوروكو

ما أتعسك أيتها الهرة العاشقة
أنت أيضا لابد ان تموئـــي
مع حبيبــك ...
وربمــا ، أسوأ ، بدونــه

ياهــا

في الدكان المفتوحــة
تحمي ثقالات الورق
دفاتــر الرســوم
من أنسام الربيع الشابــة

كيتــو

مئــات الفروع
تنبت من براعم
الروح الخصبــة ...

ومن الكرمـة الواحـدة

تشي يوني

الافعـى أنسلـت
وبقيت عيناها الصغيرتان اللامعتان ...
الندى يأتلق بين الأعشاب

كيوشي

تحت أمطار الشفق
تتجلى أزهـار الخبيزة
الرائعة الألوان ...
ما أجمله من غروب

باشو

فمك المفتوح أيها الصديق ، يكشف
كل دخيلتك ...
ضفدع اجـوف

آنون

انظر الى أنسام الصبـاح
تنغش الشعر الحريـري
الصقيـل ...

ليرقات الفراش .

بوسون

ايها الشحاذ المحظوظ ...
السماء المتألقــة
والارض الندبانــة
كل أملاكــك

كيكاكو

لا نأمه ولا رعشة ...
الظلام يحل
على الحقول والدروب
انا حزين : القمر غاب

ايموزيني

الفراشة المتأنقــة
تعطر جناحيهــا
بالطواف
حول الزنابــق

باشــو

تحت شمس المساء الصفراء

ظل الفزاعـة الطويل
يمتـد
ويبلغ الدرب
شوهـا

زهرة الكاميليـا
تسقـط
فوق المياه الساكنة
للبئر العميق المظلـم
بوسون

للامبراطور نفسـه
لن يرفع قبعته ...
ذلك الفزاعة ذو الظهر القاسي
دانسوي

بايمان بسيط
أقضِ حياتـك ...
تماما مثل أزهـار الكرز
تذوي ثم تسقـط
ايسـا

طويلة نهارات الصيف ...
آثار اقدامنـــا الكسلى
تطرز
رمال شاطيء المحيط

شيـكي

غاضبا اندفع الى بيتي ...
لكن في حديقتي
تنتصب
صفصافة عتيقة حليمة

ريوتـــا

تسع مرات نهضت
لأرى القمر ...
وخطوه الوقور يدل
على أنا لا نزال في منتصف الليل

باشـــو

« افعل أسوأ ما يبدو لك
فلن تستطيع جَرحي
ايها الصقيـــع الهرم » .

قالت الأقحوانة الأخيرة .

اويمارو

ريح الخريف القاسيـــة
تنفذ حتى العظـــام ...
يا فزّاعتي المسكينة

ايـــا

الآن في أواخــر الخريف

انظـــر :
فوق كومة مهملاتي البالية ...
مجد صبـــاح ازرق

تايجي

جندب وحيد
يهسهس ويهسهس ويهسهس
ويظـــل ...
شمعتي تذوي وتموت

آنون

تعاودني الوحشة
عقـــب

الألعاب النارية ...
اظر : شهاب يهوي

شيـكي

علي أن أتقلب ...
حاذر الزلازل المحلية
يازميل فراشي
الجنـدب

ايســا

ما أكثر حسادها ...
أوراق السرو
تظـل شامخة
تتأمـل الموت

شيـكو

كم تؤذي العين ...
الاظافر المطلية بالاحمر
امـام
الاقحوانـة البيضـاء

تشيوني

الجندب الجذلان الذي لم يصبه البلل
يهسهس جاعلا الخريف
مرحـا
ويزدري الصقيع

باشو

الاقحوانات
المختلفة الالـوان
تعمق جذورهـا ، تنشر حبها ، ثم تموت
وأرض سوداء واحدة تطوي الكل .

ريو سوي

بعد هزيمته في صراع الحب
امام مصارعين اقوى ...
يبحث الهر عن الفأر

شيكو

تعالوا : أضيئوا المشاعل :
انظروا الى اللص
الذي امسكت به ...
آه .. إنـه ولدي الاكبر :

سوكان

الثلجة الأولى في الخريف
كافية لكي تثني
اوراق
النرجس الذابلــة

باشـــو

يا ثلوج الخريف الهاطلة :
ماذا لو كنت سرب لقالق
بيضــاء صامتة
في هذه السماء الداكنة :

سوكان

امطار الشتاء تعمق

الحروف المحفورة

على القبر •••

وعلى حزني القديم

روكا

ايتها الصفصافات الهرمة المتعبة
أفكــر :
ما أكثر ما طال الطريــق

حين تنحيت عنـــه !

بوسون

لا زيت في المصباح لاتابع القراءة
فلأذهب الى سريري
لكن آه ...
وسادتي يضيئها القمر

باشـــو

انظــر الى الشمعة :
أية ريـــح جائعـــة
تلك التي تصطاد في الثلج ؟

ســيرا

زولفيا

شاعرة الربيع والقمم

في سبع قصائد

ترجمة : يوسف أحمد المحمود

أشعة شمس طشقند الربيعية تملأ الغرفة . انهم يصعدون أنظارهم في رفوف الكتب من الأرض الى السقف ، ثم يحطون بها على مكتب كبير .

ربة البيت امرأة أنيقة ، نشيطة ، مسحت بيدها على شعر رأسها الأسود المزدان بأسلاك فضية ، وقالت باطمئنان : « أعتقد أن كل شخص يحس ، بمرور السنين ، كم كانت المدة التي استغرقتها حياته طويلة ، وبنفس الوقت كم كانت قصيرة . كم كانت طويلة بما عشته ، وشاركت في المجهود العام . وكم كانت قصيرة ، اذ بقي عليك الكثير لتفعله .. » .

صمتت هنيهة ، ثم عادت تقول :

« إنني أعتبر نفسي سعيدة جدا . لقد شهدت كثيرا من الطيبة الانسانية . والطيبة لا ينساها الانسان أبداً .. »

لهجتها كانت هادئة وجريئة . الكلمات لم تكن تلقى عشوائيا ، بل كانت خلاصة خبرة حياة . فالحقيقة أن زولفيا تختار كلماتها عن تفكير عميق . ذلك ما ينبغي أن يكون . فهي شاعرة ، شاعرة عميقة التفكير ، معروفة ومعتبرة لا في

مسقط رأسها ، أوزبكستان ، وحسب ، وانما في الاتحاد السوفييتي جميعا وفي عدة بلدان أجنبية • ومن حق الشاعر الذي يحظى بهذه الشعبية وبهذه الشهرة أن يكون سعيدا • الا أن هذا لم يأت تلقائيا ، بل حققته زولفيا بعمل دائب ، وسعي خلاّق مضن •

وحياة زولفيا ترتبط ارتباطا كليا بحياة جمهورية أوزبكستان • فهي تفتتح ديوانها ، الشلال ، بهذه الابيات :

أصوات الشعب نفذت الى عقلي وقلبي معا •
وبذلك كتبت أشعاري •
قطرات المطر تجتمع فتشكل نهرا ،
وحيوات الشعب تعطي للأوطان شكلها المصيري •
من ذلك النهر أنقع غلتي ،
واني لمستعدة أن أبذل دم الحياة ،
إذا ما اقتضته حياة بلادي •

وهذا الديوان الذي قد كانت منحت به جائزة حمزة في أوزبكستان ، يعطي فكرة عن مطلة الفنانة السوفيتية العالمية ، التي لاتنفصل حياتها عن حياة الملايين من مواطنيها •

وتقول زولفينا : « إنني كعضو في مجلس السوفييت الأعلى ، وكرئيسة تحرير مجلة المرأة ــ « ساعدات » ،فقد كنت على اتصال مباشر مع مئات ، بل آلاف الناس • مهمتنا الرئيسية ، في وقت من الأوقات ، كانت أن نقنع المرأة

الأوزبكستانية ، بالانضمام الى العمل المشترك في المجتمع الجديد • أما الآن ، فقد وصلنا الى درجة أعلى ـ إننا نسعى الى رفع مستوى المرأة الثقافي ، أن نوسع معارفها ، لنتغلب على آثار الماضي التي لا تزال ، ولكن صريحين ، تظهر في الحياة اليومية بين الحين والآخـر »•

في طفولتها الأولى ، كانت زولفيا الصغيرة ، وهي تقف بجانب سياج الدار ، تحب أن تحدق ، عن بعد ، الى قمم الجبال المغطاة بالثلوج ، وتسأل :

ـ ما ذلك الذي هناك ، يا أمـي ؟

ـ الجبـال ، ياطفلتي •

ـ كلا • ماذا وراءها ، يا أمـي ؟ هل يوجد هناك أناس ؟

فأجابت الأم مكتئبـة :

ـ إنني لا أعرف • كيف لي أن أعرف ؟ لا طريق للوصول الى هناك • انظري ، كم يكون ارتفاع تلك الجبال مرعبا وكم تكون باردة •••

ولكن تلك الجبال أثبتت ، فيما بعد ، أن ارتفاعها لم يكن « رهيبا » ، اذ طارت فوقها زولفيا عدة مرات ، وهي تزور بعض الأقطار الشرقية •

إن أشعار زولفيا منتشرة انتشارا واسعا في الهند ، بورما ، وسري لانكا • وقد منحت جائزة جواهرلال نهرو ، والمكتب الدائم لاتحاد كتاب آسيا وأفريقيا منحها سنة ١٩٧٠ جائزة اللوتس الأدبية ، اعترافا بأدبها وميزاتها الاجتماعيـة •

كتبت في إحدى مقالاتها : « إن قلبي لك ، أيها الشعب ، فلأجلك أمجد الفجـر ••• » وكان لا يحق لأحد أن يستعمل هذه الكلمات ، ولكن زولفيا اكتسبت هذا الحق طوال حياتها •

وفي قصة حياتها صفحات كثيرة مشرقة • اذ قد كانت شاركت شعبهـا التضحيات وتحمل ويلات الحرب• فقد زوجها، رفيقها ومعلمها، حامد المجانوف كان ، بالنسبة لها الجرح الذي لم ينقطع نزيفه • قالت فيه قصائد كثيرة عميقة الإحساس ومدهشة • ومع أن حزنها كان عميقا ، فلا يأس و لاقنوط في هذه القصائد ، اذ وجدت الشاعرة ، باتصالها المباشر بالشعب وبحياة بلادها ، ما تسيطر بـه على حزنها وألمهـا •

ذات مرة قالت : « انك تعلم أني لا أثق بالناس الذين يلومـون الحظ القاسي باستمرار • إنه ليبدولي أن الانسان بمثل هذه الشكوى لا يحاول الا أن يبرر قصوره الذاتي وضعف إرادته • إن هذا عمليا ليس أكثر ولا أقل من حماقة • على الانسان أن يتعلم كيف يستمد البهجة من الحياة ، أن يكافح لأجل ذلك ••• الشيء الهام أن يكون للانسان أصدقاء طيبون ، وأن تكون أنت نفسك صديقا طيبا للناس ، عندئذ ، بلا شك ، تعرف السعادة ••• » •

ذلك هو موقف زولفيا في الحياة • وهذا هو ما أكدته في شعرها • إن دواوينها الكثيرة تعكس بوضوح شخصية الكاتب المستقيم •

إنني ، منذ أن أخذت أتصفح كتبها ، من دواوينهـا الصغيرة ، الـى مجموعاتها الأخيرة ، الذكرى تتحدث ، وقوس قزح ، وكلاهما منح جائزة

لينين سنة ١٩٧٦ ، منذ قرأت السطور المألوفة ، اكتشفت أسرار الشعر العظيم ، الحقيقة الأبدية ، الشعر الذي ينبع من القلب الصافي المفتوح يجد ، بلا جدال، تجاوبا في قلوب الناس الآخرين •

وزولفيا شاعرة غنائية • شعرها يعكس دائما مشاعرها الشخصية • يعكس اخلاصها واحساسها القلبي الحار •

وكيفما كان ، فان عالمها الغنائي ليس محدودا بمشاعر شخصية مجردة خاصة ، وانما هو واسع جدا ، يتضمن غنى شعور وفكر لفرد يشمل تفكيره المجتمع الذي عاشت فيـــه •

إن رفاق زولفيا المخلصين ــ « الأغاني الأحلام والحب » ، يذهبون بها الى مساحات خضراء من الحقول الربيعية، حيث زراع القطن، وزراع الحبوب، الى المستنبتات الصناعية والبساتين ، تستلهم عمالها ، وهم «مثل الفنانين تماما»، يطورون أنواعا جديدة من الورود والأزهار ، لتغرس في أرض كانت جافة ، وسهوب كانت قاحلة ، فأخصبت بتصميم ومثابرة •

إن عالما بهجا وجميلا منبسط أمام القارىء في قصائد زولفيا • هو عالم العامل ، سعيدا وملهما • وشعرها ينفذ الى المستقبل بايمانها ــ ايمان يجد التعبير باستشراف العالم المتفائل ، الذي هو ميزة الشعر السوفيتي الجيد •

شعر زولفيا يمجد الشعب الذي تحرر من العبودية والاضطهاد • وقـــد شقت على نفسها كثيرا، اذ كانت تدرك أنها مدينة للشعب، وعليها واجب المواطن والشاعر معـــا :

إنني ابنــة الفنــان ــ المعلــم
الذي يخلق الشعر من الأعمال اليومية ؛
أنــا ابنة الشعب • فهل أستحق
أن أكون روحــه السامية !

هذه الرغبة الحارة ، أن تكون قادرة على أن تقول الكلمات الصادقة ، الموحية للناس ، الكلمات التي يطلبها الناس ، أن تكون جميلة وأخاذة ، كمــا هي نفوس الناس • تلك هي الكلمات التي تتخلل شعر زولفيا كله وحياتهــا كلهــا •

أدهم اكباروف

افتح النافــذة !

من حيث أضطجع ، لا أرى الا القمم البيضاء وتألقها الناصع ،
فادفع السرير الى قرب النافذة حيث كل شيء شديد الزرقة •
الثلج أبيض ••• واني ، في الوقت الحاضر ، لأمقت كل شيء أبيض ،
فدعني أنظر الى الأرض ، الى مشهد أخضر غض •

الأشجار كلها ، مثل فتيات بوجوه نضيرة ، تبدو مغسولة من جديد ،
شعورهن مسرحة وبثياب مقصبة يرفئن ،

والضوء الذهبي على قاماتهن وأذرعهن يتبارى لاهيـا ،
كجسر الى السماء مصنوع من أشعة الشمس •

الربيع قادم • مثل الرسام الماهر يخطـو ،
شجرات الرمان عندما تمسها فرشاته تتألق •
ولأشجار المشمش يعطي اللون ــ أيها المتردد ــ
من" علي" أيضا • امنحني مسحة احمرار •

اذا كانت ألوان الربيع لاتقيم في قسمات وجهي ،
اجعلني فقط أحس بأنفاس الربيع ! فالعصافير ،
هناك ، محلقة ، غير خائفة تغني • ان أغاني" تسبح تلك الكائنات ،
فاترك أصواتها تأتي الي" الآن • انها نازلة من السماء !

ما أشد اشتياق قلبي الى الموسيقى • افتح ولو قليلا !
افتح النافذة ! لعل رئتي" تشعران بالحرية •
لاشيء يعذب كالربيع وتأثيره الفعال ،
أوه ، سامحني ! ان النافذة ، حسبما أرى ، لاتزال مفتوحة •

إنني متجمدة ، أنوء بوطأة العلل ،

الفراش ، الآن ، يحس كالثلج ، لو أن جذوة بيضاء الآن ...
صوت العندليب من خلال النافذة يملأ ذلك الجمود
والأزهار في يدي تتساقط من الأشجار .

بجانب الينبـوع

على رأس شجرة مظلمة الشكل ، القمر الجديد ،
يبزّ ، بومضة فضية ، كل نور أرضي .
عاشقان يقفان صامتين ، وخفقات قلبيهما
تغلب على هدوء الليــل .

الينبوع ، مزبدا يفور ، ويدوم ،
شآبيب رخية من اللؤلؤ النادر تنحدر رذاذا ،
عبث الماء يضيف سحرا الى هذا الحب ،
برهة سعادة يتقاسمها قلبان .

نور القمر لا يلبث أن يشحب أمام لهبة الفجر النارية ،
افترق العاشقان ، والمتنزه امتد صامتا ، هادئا .
أوه ، هل لبهجة هذا الحب الخالص أن تدوم ،

أن ــ تظل أيامهما مليئة بالنور والحبور !

الأيــام ٠٠ الأيــام

خريفي ينقلب الآن الى شتاء ،
البرد القارس يلتهم جسمي ٠
الآن فقــط أدركت أنّ لفحه
كأشد ما يكون لفح السعير ٠

لو كان خدّاي الشابان موردين صحة
فهل كان مثل هذا الألم يمزق لحمي ؟
انــه كالجليد يتكاثف حول جسدي ،
ويلسع كالملح في جرح طريّ ٠

في الشتاء البارد أعاني صراعا ضاريا ،
انني أصرخ ــ فمي يتعجّى بمرارة ــ
الدموع تتحول الى جليد ــ بارد وقارس ،
يلدغ ، يلسع عمري ــ يسفع وجهي ٠

الأعوام تطير ، أجل ، الأعوام ٠٠٠ انني أرتعد

كأوراق شجرة يقصفها البَرَدُ .

خيط حياتي هل سينقطع قريبا ؟

وآخر ومضة من عمري ، ستتلاشى ؟

أم أن هذا كله من هذيان الحمى ،

والأشجار أبدا ستظل مزهرة ؟

ولن يحدث لي ، أبدا ! أبدا !

حتى الى ما لا نهاية ، ذلك الرعب الشرس .

أوه ، سرير المستشفى هذا أبيض وموحش ،

الأفكار غير المسرة يتعقبها كل واحد ...

ومع أن قلبي ليس الا بشريا ومنهكا ،

سيتحمل ، وهو الآخر سيقاوم .

افكر في حياتـي الماضية

عندما أتصفح دفتر مذكرات الماضي :

أرى أن أيامي قد استنفذت عيشا ،

في السعادة لم أخف أن أفـرح ،

وفي الحب ، فقد أشبعت حبي الى أقصى حـد .

لم أبال ان كانت ثيابي غنية أو فقيرة ،
مافي قلبي من المشاعر يشغلني ،
واذا ما الحب مات وملأ أيامي الحزن ،
فان المبدأ هو السلوان والعزاء .

هكذا ، وأنـا أستعيد كل سني حياتي
لا تنهدات غير مجدية ، ولا أسف ـ عشت .
لقد عهدت نعماء وضراء بلا حصر ،
تذوقت الفخر الرفيع والحزن العارم ...
وعلى هذا جميعا أقدم شكري للحياة !

مرة أخرى اشتاق ان يعود الربيع

مرة أخرى أشتاق أن يعود الربيع ،
مثلما تصبو لذلك كل شجيرة ، كل برعم ، كل واد وهضبة .
مرة أخرى ، والشتاء يسحق روحي ، أحن الى عودة الربيـع ،
أكثر مما يحن الكثيب الأجرد المنتظـر .

أيتها الأرض ، وأنت مقيدة بسلاسل الشتاء ،
قلبك يتلهف الى رعاية الربيع الرقيقة ،
كما يتلهف قلبي . إنك تستدعين الربيع
بزهر التفاح الثلجي المتفتح الجميل .

يا أغنيات الربيع المبكرة ، غني للأرض ،
حطمي بالغناء ، من فورك ، هذه القيود الشتوية
وانطلقي ، يا قلوبنا ، بصيحات الفرح ،
مرحبة بالربيع ، مطّرحة حياة الألم .

أيها الربيع ، بعدا لأحلام الشتاء !
لقد مضت ببردها وأحكامها القاسية .
انني مشتاقة لكلمات الربيع الحبيبة ،
ولكن أنوار الربيع لم تلق ظلالا بعد .

وكما ، في الصبا ، ذات مرة جئت ، في الأيام المبكرة ،
راقصا ، تدور حول نفسك ، أبدأ عيدك الآن ، أيها الربيع !
من أفراحك اصنع وقاء دائما

يمنع آلامي وأحزاني أن تعود الى الأبد •

المطر يسقط

الى كامل ياسين

الليـــل •

ومرة ثانية الأرق •

هستريا تشد الأعصاب كالخيوط ،

شيء ما يهمس غمغمة ،

شيء ما يرفرف بلا تبصّر ،

متفرقا يصلصل الصمت •

الربيع انقضى •

الماء يتساقط ،

الظّلام • انّي أجهد نفسي لأسمع

شهاب يشق سماء اللّيل ،

غمامة من الضباب تقترب زحفا •

الصّمــت •

المطـر يتساقط

دائريـا وناضجا مثل الحبوب •

الظلام لين ومضطرب ،

كلّ شيء ملفّع بضجيج هادف •••

فهل من رسالة توضّح ذلك !

ايقـاع !

الزمـن يمـر

المطر المتساقط خارجـا يضرب بسرعـة •

الساعات ، الأعوام ، والعصور •••

أستمع قول الحكماء :

لاتدع يوما عبثـا يمضي •

ثمينـة

الهبـات التي قدمتها لنـا الحياة

بوركت ، يا ليلي غير النّائم !

لقد قلت لي بسكونك ــ

« خذي قلمك وبقوة

أكتبي كل ما عشتــه ! »

المستقبل

المستقبل !

انّك أمام عينيّ ماثل ،

مسرعــة ،

أمسك بحاشية الأحلام ،

لكي ألقاك

قممك الشاهقة ، حيث تتألق أشعة الشمس ،

تنهض جلية أمامي الآن •

وبعينين لم يكن أرق منهما قبل أحدق

الي قمم أيّــام

المستقبل المهيبــة •

« الغــد » !

ما أكثر الذيــن

في الماضي

ظنوا أنك ، بما يبهـج ، ستأتـي ؟ !

مسرعـة

الى قمة الجبـل

حيث لم يكن مثقال ذرة مما رغبت

جريـت •

« الغد » !

أيتها الأرض التي أذهلت الجميع !

أسرارك العميقـة

هي جوهرك الحقيقي ،

الشيء الوحيد الذي أعرفه :

أن لا طاغيـة ،

ولا حكيمـا

يستطيع أن يعيق سيرك المظفر !

« أيها الغد » !

انني قمتك المثيرة أبصر •

فما عسى أن تعطينا بالبهجة والحب ؟ ...

ماذا ستنبت ؟

في الميزان ـ أيـة واحدة

من الكفتين المتحركتين ستكون الأرجح ؟

ما عسى أن سيهيمين ،

وما الذي سيسود ؟

الزمــن

سيحكم على هــذا

حتمــا .

زمننــا الراهــن

هو عيــد الشعوب

حيث يكافأ الكدح بسخاء

عالم اليــوم

من الغرب الى الشرق يتألق

وعالم الغــد

ضعفين سيكون أبهى !

« أيهــا الغــد » !

انني أطاردك

فأيــن تتوجــه ؟ ...

انتظــر ! ...

ولو لدقيقة واحدة ـ أقم

معنــا

أي أطفال الزمــن المجنح ،

الى الكواكب

سيأخذ طريقــه لأول مرة !

كلا ، انهم بالنار اللافحة يتسابقون ...

كالأرض المتحركة منذ الأزل ، ولن تتعب الى الأبد .

« أيهــا الغــد » !

توقف !

اقترب لتلهمني الشعر !

لقد اكتشفت ومضة جناحيك الفضية

انهما في السماء يحلقان ...

انّني أتوقع

أيّ لحظــة

أيهــا الريش المتألــق

ستسقط على الأرض .

تأمــل ، ان الريش يبرق من مسافة بعيــدة ...

انني ، في كل مكان ، أجد آثــارك !

على الأكمام ،

على طرف شال ـ

ريشك اللامــع ،

على سماط كعالم بلا حدود

أيها الغد ، أحس أن النور يبلــغ مداك .

فماذا يهم أن لــن ألمسك

أو اذا أخفقت أغنيتي أن تكتنفك ؟

ماذا اذا كانت حياتي برهــة عابــرة

أو اذا كنت ، وأنا معلقة بقمم الجبال العالية ،

لم أستمتع أبدا بالحظ الكبير

أن أحدق اليك بعيون مستلهمة ؟

هل أثنى عليك الشعراء الآخرون في أكثر من قصيدة ـ

ان المدة التي تستغرقها كل حياة ليست ، بالحقيقة ، طويلة ـ

أولئك الذين أصغر منا ، هم منّـا أشجع .

ومع هذا ، فاني أنشدك ، أيها الغد العظيم ، مادحة ! ...

مبتهجة كأني أنا نفسي قد خلقت

أشعارا جديدة رائعة ، براقة ذهبية .

مرة ثانية أشعر أنّ قلبي بالشباب يتموج

فهل سيمتزج هذا القلب بزمننا وبشعبنا

برنين أعظم وأقوى مما كان ؟

عن مجلة : « الأدب السوفييتي »

فلسطين الألبانيّة

محمد موفاكو

المقدمة

في الحقيقة قد يستغرب المرء حين يطلع على الشعر الألباني المعاصر ويرى مدى ارتباط هذا الشعر بفلسطين وبالقضية الفلسطينية ، الشيء الذي يشكل استثناء بمقارنة الشعر الالباني مع الشعر الاوربي بشكل عام . ولا شك ان هذا الارتباط بالقضية الفلسطينية في الشعر الالباني ما هو الا امتداد لذلك « الهوس » بالقضية الفلسطينية الذي يسيطر على الالبانيين بشكل عام ، الشيءالذي يثير ويحير كل من اتيح له الاحتكاك بالالبانيين من قريب او من بعيد .الا ان هذه الحيرة سرعان ما تتبدد بالرجوع الى التاريخ ، الذي يمكن بواسطته فقط فهم هذه العلاقة المتداخلة بين الفلسطينيين والالبانيين .

في التاريخ الحديث ، تاريخ القوميات المضطهدة ، هناك حالة فريدة جمعت بين ظروف كفاح ونضال الشعبين الفلسطيني والالباني في سبيل التحرر والاستقلال ، وسط محيط عدائي شرس من مختلف الجهات [1] . في هذا

(١) مشكلة الشعب العربي الفلسطيني مسقطة عليه من الخارج ، من أوربه البعيدة ، وهي حقيقية أساسية في معاناته . « المجلة »

المحيط كانت مشكلة هذيـن الشعبين الصغيرين واحدة : شعب حكم عليـه بالتشرد وصودر حقه في استمراره كشعب وفي تشكيل دولة خاصة بـه • فالشعب الالباني الذي توصل الى حضارة مزدهرة في قرون ما قبل الميلاد ، انقلبت عليه الاحوال منذ القرون الاولى للميلاد ، حيث تشتت تحت ضغـط موجات الغزو والتوسع من يونانية ورومانية وصربية وبلغارية الخ •• ، ولقد حدث هذا في الوقت الـذي كانت فيه فلسطين تتعرض الى موجـات الغزو الصليبية ، التي أرادت ايضا أن تحرم الفلسطينيين من حقهم في وطنهم •

وبالاضافة الى هذا ، فقد رزح كلا الشعبين الصغيريـن لعـدة قرون من الزمن تحت الاحتلال التركي • ومن المعروف أن الشعب الألبانيخلال هذه الفترة لم يتخل قط عن البندقية، التي استطاع بفضلها فقط أنيثبت وجودهوأن يستمر بـه على الرغم من تعدد الاطراف المعادية له ، ومما لا شك فيـه ان تمسك الشعب الالباني بالبندقية ، مع جملة الظروف الاخرى ، قد أتاحت له أخيرا الوصول الى انتزاع حدود ما لألبانيا في عام ١٩١٢ ، تلك التي شملت فقط جزءا من الشعب الالباني ، على حين ان الجزء الاكبر كان قد تشرد عبر عديد من الدول (ايطاليا ، تركيا ، رومانيا ، بلغاريا ، امريكا ، مصر ، سوريا الخ) وبالاضافة الى هذا فقد قسمت حدود ١٩١٢ الشعب الالباني الى قسمين، حيث اشتملت حدود البانيا على القسم الاول ، على حين ان القسم الثانـي شملته الحدود الجديدة للدول للمجاوره ، وبشكل خاص حدود يوغسلافيا ١٩١٨التي شملت غالبية هذا القسم الذي عاش ويعيش اليوم في اقليم كوسوفا•

لقد تعرض هذا القسم الذي بقي في يوغسلافيا ، بعد انشملته حـدود ١٩١٨ ، الى ابشع انواع الاضطهاد ، القومي والاجتماعي على يد البرجوازية

الصربيه على مدى ثلاثين عاما تقريبـا (١٩١٨ ــ ١٩٤٥) • فيوغسلافيـا القديمة (١٩١٨ ــ ١٩٤٥) التي قصد منها ان تكون جامعة ديمقراطية لكل القوميات المتناثرة كانت ، كما قال الرئيس تيتو ، بلدا نموذجيا في اوربا من حيث الاضطهاد القومي ، حيث استعبد فيه الالبانيون وغيرهم • وفي اطـار هذا السجن وجد الالبانيون انفسهم ، الى جانب المكدونيـين وغيرهم ازاء وضع مأساوي ككتل غير مرغوب فيها داخل يوغسلافيا ، وعلى هذا فقد كان المخطط الرسمي يرمي دون مواربة الى محو الشخصيـة القومية للألبانيـين باسرع ما يمكن ، ومع الزمن امتد هذا التهديد الى الوجود الجسدي نفسه وتحت ضغط الارهاب الذي لا يوصف بـدأ الشتات الالبانـي واضطرت عشرات الألوف من الالبانيين الى الهجرة للخارج للبحث عن مأوى •

في هذه الظروف الصعبة ، في تاريخ الشعب الألباني ، لم يكـن كفاح ونضال الشعب الفلسطيني غائبا عن اذهان الألبانيـين ، في تلك الفترة كان الشعب الفلسطيني يكافح الاحتلال البريطاني والاستعمار الصهيوني لفلسطين• في تلك الفترة كان هناك تواصل بين نضال الشعبين المشترك في سبيل تأكيـد الذات القومية مما جعل الكثير من الالبانيين يعتبرون ان المعركة واحدة ، وأن القتال على جبهة يعادل القتال على الاخرى • وعلى هذا فقد حمل الكثير مـن الالبانيين السلاح ليقاتلوا على الجبهة الفلسطينية ايمانا منهم بان المعركة واحدة بين الشعبين • وقد تركت لنا حرب ١٩٤٨ ما يدل على مشاركـة المتطوعين الالبانيين من مدنيين وعسكريين ، الذين قاتلوا ببسالة للدفاع عن فلسطـين للفلسطينيين من هؤلاء المتطوعين كان هناك قسم من الالبانيين الذين هاجروا الى

المشرق العربي واستقروا فيه ، فقد حرم هؤلاء من الكفاح في سبيل وطنهم ، الا أنهم نقلوا البندقية من كتف الى كتف ليقاتلوا في سبيل الوطن الذي حلوا فيه طالما ان المعركة واحدة والعدو واحد الاستعمار • ومن هؤلاء يجدر بنا أن نذكر المجاهد عمر ارناؤوط ، الذي منح عقب حرب ١٩٤٨ وسام فلسطين والعديد من الاستحقاقات تقديرا لكفاحه على الجبهة الفلسطينية •

وبالاضافة الى هذا يجدر بنا ان نذكر ايضا بعض العسكريين من الالبانيين الذين التحقوا بجيش الانقاذ ليقاتلوا جنبا الى جنب مع الفلسطينيين ، ومن هؤلاء العقيد مول بيركتاري الذي شارك في الدفاع عن يافا مع زميله العقيد حمزة ادريني ، والمقدم صبرى كايلاني والنقيب جمال لاشي وغيرهم •

الا أن هذا التواصل مع الشعب الالباني لم يتح له ان ينعكس بشكل او بآخر في الشعر الالباني في تلك الفترة، وذلك بسبب ظروف الاضطهاد القومي التي لم تعق تطور الشعر الالباني وحسب بل منعت في الاصل ولادته وتواجده في كوسوفا • ولكن مع تشكل يوغوسلافيا الحديثة (١٩٤٥) اتيحت للألبانيين بعض الحرية ، الا أن تركة الماضي بقيت تشكل نيرا في اعناقهم حتى سنة ١٩٦٦ ، التي فتحت صفحة جديدة في تاريخ الالبانيين ففي هذه السنة منحت للألبانيين في كوسوفا حقوقهم القومية ، التي ضمنت لهم التعبير عن ذاتهم وبلغتهم ، الشيء الذي ادى بالتالي الى نهوض الشعر الالباني بعد أن بقي لفترة طويلة مصفدا بالاغلال • وقد رافق نهوض هذا الشعر جملة تحولات على الجبهة الفلسطينية الشيء الذي انعكس على الشعر الالباني منذ بداياته ، فمن ناحية ، كان الشعب الفلسطيني يتحول من شعب لاجىء دون وطن الى

شعب مقاتل في سبيل وطنه ، الشيء الذي توج ببداية المقاومة المسلحة في عام ١٩٦٥ التي استقبلت باهتمام كبير في صفوف الالبانيين • ومن ناحية أخرى ، جاءت فاجعة حزيران ١٩٦٧ ، التي أدت فيما ادت اليه الى تصاعد المقاومة الفلسطينية ، لتزيد من اهتمام وحماس الالبانيين للقضية الفلسطينية • واخيرا جاءت الحرب الاهلية في لبنان لتربط الالبانيين اكثر من أي وقت مضى بالقضية الفلسطينية ، وتقتضي الحقيقة هنا أن نشير الى الدور الكبير الذي لعبه السيد نهاد اسلامي الذي كان مراسلا لجريدة ريلنديا خلال الحرب الاهلية والذي كان من الصحفيين القلائل الذين تابعوا الحرب الاهلية لحظة بلحظة ، الشيء الذي عرض حياته للموت عدة مرات • وقد كان للمقالات والتحقيقات التي نشرها نهاد اسلامي (١) ، وبشكل يومي في صحيفة رلنديا ، اثرها الكبير على نفوس الالبانيين • ويكفي ان نشير هنا الى المسلسل الطويل الذي نشره عن ملحمة تل الزعتر ، وذلك الذي أصبح على شفة ولسان كل الباني رمزا لتضحية وبطولة الشعب الفلسطيني ، وعلى هذا نجد بعد فترة من نشر المسلسل عدة قصائد عن ملحمة تل الزعتر •

ان هذه القصائد اللاحقة التي ترجمناها لا تشمل كل ما كتب عن فلسطين وعلى هذا فان هذه القصائد تشكل ديوانا مصغرا • لانها اختيرت من قصائد

(١) من الدراسات التي تجدر الاشارة اليها تلك التي كتبها ن . اسلامي بعد زيارته لاسرائيل بعنوان عشرة أيام لا تنسى في اسرائيل ، التي ترجمت للعربية ووزعت على مكاتب منظمة التحرير في العالم ، من طرف مكتب المنظمة في بلغراد ، كوثيقة ادانة لاسرائيل .

كثيرة من مختلف الاعمار والاتجاهات . فبشكل عام ، كان لدينا من هـذه القصائد ما كتب بشكل عميق تناول المشكلة الفلسطينية في اطار شمولي يعبر عن رؤيا ما لصاحب القصيدة ، كتلك التي كتبها مثـلا عمر شكريلي وبشير موصلي ، وطالما أن القصائد التي جمعناها عن فلسطين تتحد في اطار الموضوع ، لذا كان اختيارنا للقصائد اللاحقة قائما على أساس فني ، حيث اخترنا تلك القصائد التي تتمتع بقيمة فنية متفاوته اضافة الى قيمتها الموضوعية ، وبشكل عام فقد جاءت القصائد اللاحقة لشعراء لهم مكانتهم البارزة في الشعر الالباني ؛ الشيء الذي يبدو واضحا في الملحق ، ولا بد من الاعتراف هنـا بأن ترجمة القصائد الى العربية قد أثر الى حد ما على قيمة هذه القصيدة ، وذلك لاختلاف طريقة التعبير في اللغتين العربية والالبانية .

أخيرا بودنا ان نضيف ان الهدف من هذه المقدمة ، بل من هذا الديوان المصغر ، هو تقديمها للشعب الفلسطيني في هذه الفترة الحرجة ، فقـد يرى فيها شيئا الا وهو انه ليس وحيدا في كفاحه ونضاله ....

م . موفاكـــو

بريشتينا ٢٥ آب ١٩٧٨

* * *

انـور جرتشيكو

تـل الزعتر

ـ مقاطع ـ

تـل الزعتـر
انت شاطيء بحر دون نهايـة

دون صخور ، دون رمال
انت وطني المصغّر
الذي ترسمه اصابع وأيادي الاطفال
المشوهين بالنابالم

أنت من أكثر الاغنيات حزنا
التي تغنى للطفل
المولود بين الحب والحقد
للطفل الذي ينطق اسم امه •

أنت السورة الاولى والاخيرة
لقرآن جديد
لقرآن محفور على الجماجم
انت أعظم معبد
حيث يصلي المرء للآلهة
لآلهة الحرية
أما بقية الآلهة فتصمت
أو تردّ متأخرة

تل الزعتر

آدم غيطانــي

الفلسطينيون

ليس لدينا حديقــة نمارس العشق فيهـا
ليس لدينـا ارض ندفــن الموتــى فيهـا
ليس لدينا حقــل نزرع فيــه حبــة شعير
ليســ لدينــا شــجرة أو عصفــور
ليس لدينــا بقعــة يرفرف علمنــا عليهـا
ليــس لدينــا اعراس ولا أغنيــات ..

فلســطين

لــن ينتزعــك أحــد مــن حلمنــا
لا الليـــل ولا الطاعـــون
الآن استريحــي في حضنــي الاسـود
واحلمــي بالطائــر الــذي سيعــود
روحــك في كفــي الحمــراء
يا زهــرة قطعــت بمنقــار غــراب
لا الليـــل ولا الطاعـــون
سينتزعانــك مــن حلمنــا....

حب فلسطيني

لا ليس لدي وقت
للقبلات
للنظرات
رفاقي ينتظرون
تحت زهرة الدم
ليس لدي وقت للهمسات ، للقمر
أو للقبلات
شعرك الاسود وعيونك السوداء
يلاحقني في كل خطوة
لا
الرفاق ينتظرونني •••

الشاعر الفلسطيني

فيعقب البندقية يكتب ابياته
في جباه الموتى
في طلقات الاعداء
في الرصاص المتطاير
يكتب النمل بالفسفور

ويرسلها ليلا لأرض العــدو
الدم ، الموت ، الحريــة
لايمكن أن يطفؤوا بريــق النمــل
هم بالآلاف ، مثلنــا
في الارض ، في السماء ، في المــاء
الوطن الفلسطيني في كل مكان
يبث من قلبه الابيات في سبيل الحرية
التي يسمعها كل انســان

عمر شكريلي

فلســطين

تشرب الماء في البحر الاسود المتوسط
في كأس من عالم مسموم
تطفأ ظمأهــا في أطفالهــا
لتتقيأهم محاربــين
لــذا لا تصدقــوا التاريخ
لا تصدقــوا ذلك العاهر
فالتاريخ لعبــة أطفــال
ومتحجر كتاريخ هذا العالم
يلتهم الناس ويطحن الناس والحجارة

اذا أردتم يمكن أن تموتوا بشكل أفضـل
بشكل أطول وأعمـق
يمكن أن تموتوا ألف مرة في اليوم المبارك
ومع ذلك ستكونون ملعونين ،
وستبقون أحيـاء
فهذه طبيعتنا الميتـة
ولكن الحية ايضا تشبه الانسان
قلب هذا البحـر الميـت
على عمق ثلاثمئة واثنين وتسعين مترا
أو ثلاثمئة وتسعين مترا
اذا أخذتم بعين الاعتبار قبورنـا
من حيث تبـدأ أربعة طرق :
طريق الى السماء والعيـون
طريق الى تحت الارض والروح
طريق الى المـاء والدمـع
وطريق مأمون الى موت آخـر

الالـه ما وفر التراب ليخلف العالم
خلق الانسان والظمأ
فلـق الصحراء
قادر على كل شيء :

اما يريـد ولا يستطيـع
أو يستطيـع ولا يريـد
اما لايستطيع ولا يريـد
أو يستطيـع ويريـد

اذن
من أين جاءت الخطيئـة
من اين جاء الانسـان

الالـه خلق الانسان والحقـد
والانسان اخترع النار واحترق
والنار احالت الرايات والازهار رمادا على وجه الارض
والرايات حملت الجثث على أربعة أقدام
والازهـار فتحت القبـور برائحتها
الجثث ورائحة الازهار ملأت عالمنـا
وهذا العالم بقي ما هو عليـه

ليس اسـوأ
وليس أفضل

الانسان فقط ازداد سوءا وموتـا

الحجر فقط ازداد ليونة واثارة
الموت فقط ازداد عمقا ووضوحا
الزمن فقط ازداد تعكيرا وارهاقا
الموت يقترب على هيئة انسان
بعين سوداء في عصب جبهته الزرقاء
ليصيبك في العين
الجوع يأتي على أقدامنا الحافية
ويحملنا على أيديه كالطفل بين يدي امه
وبعد حين نكون اما على الصدر أو على الهاوية
الطاعون اول ما اخترعه النهار
له رقية مكتوبة على جلودنا

مع عنوان الانسان :

طريق الله
رقم الشيطان

الموت يقترب على هيئة صديق حكيم
يمد لك يد الثعبان والصديق
ويقول لك بلغة الطحالب :
مع هذه اللحظة أنت وأنا وأنا وأنت

الموت لايقبل أي هيئة أخرى
الا هيئة الانسان الحزينــة
لانه يأتي من الانسان بيد الله
الى الانسان والله لصالح الشيطان
وتلك العين السوداء في عصب الجبهة الزرقاء
تأخذ للحظة الشمس المترمدة
تأخذ الارض تحت الاقدام ، تأخذ الماء والحجر
ولا تترك لك حتى الهواء الملون بالأدعية
بل تتركك وسط العالم دون قطرة من العالم
نحن مثــل الطيور المحنطة
فهي ايضا ليس لها تراب تمسه بأقدامها
وليس لها أرض خاصة بهــا
فوطنها الريح والزقزقــة
نحن لنا لساننــا وعيوننــا
نحن مثــل الطيور
التي تطير في عكس الرياح
والرياح لا تتوقف لبرهــه
نحن ايضا ليس لنــا أعشاش
فأعشاشنا الانقاض الفاحمة
وسماؤنا دخان البارود

نحن لا نعيش فوق الارض للموت
ففي الموت يسكن أطفالنا
نحن لا نملك شيئا الا السماء
ففي السماء لنا الحقول والبيادر
لنا قطرات المطر وقنابل المدافع
في السماء يصفر لنا الرصاص
باسم الفناء والشتاء
نحافظ على العظام والبنادق
لنبني بها البروج والحصون
والجذور من الشتول
فنحن نشبه الطيور
وحتى موتنا له اجنحة الطيور
نحن نموت عدة مرات في عدة اماكن
ولكنا ما زلنا أحياء
لاننا لا نملك ارضا على وجه الارض
بل نسكن دائما في موتنا
هل شاهدتم صدفة اطفالنا ؟
المخلوقات الحية الوحيدة من البحر الميت
هل سمعتم بكاء اطفالنا القارص ؟
ليس لأطفالنا سروال تحت ثيابهم

ولكن لهم علم
وامهاتهم يطفئن ظمأهن في البحر الاحمر
ليس لاطفالنا خبز بل رماد
ولا يعرفون النوم حين لا يعرفون الأم
فالنوم والأم توأمان
لكنهم سيبولون على التاريخ
الذي صنعتموه بالتراب فوق القبور
وسيولدون عدة مرات في اليوم
ليموتوا باستمرار في كفاحكم
اطفالنا يتعلمون كيف يمتصون طاعونكم
ليتقيئوكم مع وجوهكم
وليغيروا طبيعة الصحراء
ليس لاطفالنـا امهات
ولا يعرفون لهم آباء
يلعبون بعظام الآبـاء والامهات الاغراب
وبأزرار الجنود المفقودة
يعلقون انفسهم على حراب البنادق
ليحموكم من ضربـة شمس
يكمنون لكم برؤوسهم الصغيرة والطرية
ليبدّدوا عتادكم وحقدكم
مرة خرج الثعبان من حجره

ليلتهم النبتة البريئة
التي كانت تأكل من عرقها فوق جحره
ومرة خرج التنين الجائع
ليضرم النار في العشب الطري للانسان
قلب الارض البريئة حتى اسفل السافلين
وزرع القبور لتنبت الاموات
وسمم الدم حتى جعله كالبارود
وفي مرة اخرى خرج التنين من مكمنه
لكي لا يبقى بذرة للانسان
جمع الاطفال من هنا وهناك
ولاحقت ناره الابرياء الصغار
على مدى القارتين
ومن حينها بدأت رقصة الموت
وتحول صغار هذا العالم
الى رقيه للموت
ليحافظوا على اسمه من الصدأ
من الزمن السموم لبحيرة العفن
من الهواء الملون عبر القرون
من الماء الذي يغلي من البراءة
من التراب الذي لم يشبع بعد من الحليب والدم
الانسان والحجر كانا صديقين قديمين في يوم ما

الانسان تحول الى حجر من الصبر
والحجر هبط تحت الارض بهيئة انسان
ذات يوم ستتوقف الشمس ذاتها
لترى ارضها المسكينة التي اصبحت للشيطان
ذات يوم سيتوقف الزمن فوقنـا
ليرى ذاته في وجوهنـا المسودة
في مرآة البؤس لينفجر من الغيظ
ذات يوم سيمد الافق يديـه
فوق تأوهاتنا وأطفالنـا
ليأتي هؤلاء معنـا ومع المـوت
الى نهاية طريقنـا المرهـق
وحينها سيبلع التراب الرمل الحـار
وسينهض البحر الميت من فراشه
لينفض النعاس من عينيـه
وسينهض البحر الاحمر مزرقـا
من عيونـنـا التي فقأت من الدمـوع
حينئذ ستلد نساؤنـا
أطفالا بلون البرونز فقـط
وسنشيد دربا مشجرا الى السماء
لنقول للالـه الطيب

لقد وهبتنـا حياة لعينـه

عانينا فيهـا ما عانينـا

من الزمن ومن النبي ومن الانسان

نشرب الماء في بحركم الاسود

وفي غضـون هـذا

تدور الارض حول محورها

حول الشمس

وتدور الشمس ضـدنا

ولكـن

الله الذي خلـق الانسان والظمـأ

متى سيطفىء ظمأه فينـا

إنـه قادر على كل شيء

اذن

من اين جاءت الخطيئة الى هذا العالم

وكم سيطول زمن الانسان

هذا العالم بقي ما كان عليــه

ليس أســوأ
وليس أفضل

لان
الارض تدور حول محورها
(والقمر يدور حول الارض المسكينة)
والارض تدور مع القمر حول الشمس
وهؤلاء الثلاثة يدورون ضد الانسان

يعقوب ســرايا

حكاية ام فلسطينية

اليوم ، من الصعب أن تكوني أما فلسطينية
في تل الزعتر ، في ليلة مظلمة مع ثلاثة أطفال
مع ثلاثة آمال لأغنيتنا التي لم تغن بعــد
كانت ليلة حابكة بالبرق والنار
ككل ليلة فلسطينية
منذ احدى عشرة سنة
قلت للأطفال ، لابد ان نغني شيئــا
لكي لانسمع فقط الصرخات

وغنيت ، وعادوا يرجونني بصوت واحد
ــ أماه ، يا أماه ، لا تبكي !

في تل الزعتر ، في ليلة مظلمة مع ثلاثة أطفال
مع ثلاثة آمال لأغنيتنا التي لم تغن بعد ،
كان أحدهم رضيعا ، كان ما يزال يرضع من صدري
كنت اغني لـــه بدل ان ارضعه
لأن الحليب قد جف في صدري
الاغنية كانت اغنية ، الا أن الصوت كان نواحا
وعاد أطفالي ليعزوني :
ــ أماه ، يا أماه ، لاتبكي !

وفي تل الزعتر ، في ليلة مظلمة مع ثلاثة أطفال
مع ثلاثة آمال لأغنيتنا التي لم تعد تغن بعد
احدهم اصبح يلفظ أمـــي
الثاني أصبح يعرف ما يعني هذا الاسم وماذا لا يعني
الثالث اصبح في استطاعته أن يحميني
وأنا أصبحت للبكاء فقط
ولكن الان يقولون لي بلسانهم وعيونهم
ــ أماه ــ يا أماه ، غنّي ولا تبكي
غنّي للمقاومـــه
التي ستحيينـــا وستنقذنـــا

محمد كرفيشي

فلسطين

كم هي قريبة فلسطين

فلسطين تسافر من قلب الى قلب
فلسطين تستريح من روح الى روح
كم وكم تخطت المــوت
لتصل الى الحريــة

* * *

للحزن اجنحــة
وللشعلة عيون
والنار تتنفس عبر البيوت
الالم يتحدث مع الناس عبر الخنادق
والدم ينشد أغاني المجـد
الحجر يتقاسم التعب والمعاناه
مــع الانسان مع صديقه
والحب يبقى دائمـا في يقظــة

* * *

النار تمتد على دروبك الطويلـة
والنجوم ترشد الليل الى طريق عودتـه
احصنة طروادة الباهتة تحني رؤوسها
والغبـار في أعينهم المغلقـة
يرقص رقصة فراقهم الباردة

بشير موصلي

آه فلسطين

يا أبناء آدم الخاطىء
وحـواء الملعونـة
من حملكم الى هذا السهل الذي ليس سهلا
لتبعثـوا المـوت
الذي تحملونـه على ظهوركم عبر العالم
يا أبنـاء آدم اللعين
وحـواء الخاطئـة
الالـه وزع اشجار الجـوز
ما حلّ بكم يا أبنـاء آدم وحواء
من أين عدتم الى هذا السهل الذي ليس سهلا
حيث كنتم الما على رؤوس الاصابـع
وتحت الاظـافر

كنتم حملا على ظهر كل انسان
وما زلتم تبحثون عبر العالم عن الظلال المفقودة
التي تجدونها فينا
نحن ابناء آدم البرىء
وحواء المقدسة

ما زلنا هنا
على رابية الحياة تتطلع منذ قرون
الى السهل الذي ليس سهلا
نخدع الشمس بظهورنا
لتحملنا ثانية الى تلك الضفة
حيث يمكن ان نرى مع الموت العظيم
الذي ما شاهاناه قط والذي معنا
لكي نعظم شهرزاد
في الف ليلة وليلة أخرى
لكي نهبط مرة أخرى في الفردوس
لكي لا نفقد ما فقده آدم
ونحن ، ابناء آدم المسكين
وحواء السلالة
نحول هذا التيه عبر العالم
الى تفاحة

ويجلس أطفالنا ليأكلوا أصابعنا
نضع المعابد على ظهورنا عوضا عن المجاعة
نعبر عالم الاحلام
لنهبط بسهولة مرة أخرى على الضفة الاخرى التي لنا
حيث تتخلص من الالم والعزاء
تلك التي بقيت فوقنا
ولا نشاهدها
أو نشاهدها مع أنها فوقنا

ابناء آدم الخاطىء
وحواء البريئة
من أين والى أين ؟

قالوا انك الابن الاصغر لآدم
والاثم الاكبر لحواء
الان عليك ان تسافر عبر العالم
لكي لاتقع في الاثم في أي مكان
ولكن لا تشاهد أباك في أي مكان

الرحلة استمرت واستمرت واستمرت

وما توقفت الاقدام في أي مكان

في أي مكان لم تكن هناك نقطة ماء في الرمـل
بل عالم الرمـل فقـط
وحتى الشمس قالوا من الرمل
كل شيء قالوا كل شيء
قالوا أنك الابن الاصغر لآدم
والأثم الاكبر لحـواء

لم نلتق في أي مكان مع آدم الخاطىء
ولا مع حـواء الخاطئـة
ولا مع الاثم الذي ما اقترفناه
ولا مع ذلك الذي جعلنـا
وسط اربعين ابنـا لادم وحـواء

في كل وجه بحثنا عن جزء من وجهنا الضائع
في وسط الرمال الحارة
من وجهنا الذي وعدنا به في بداية الرحلة
كالارض الموعودة
ما وجدنـا في أي مكان ذلك الوجه من الرمال

صعدنا الى اولمب الكذبة الكبرى
على اهرامات العزة الصديدة

بصقنا على بابل المفتوحة
وأمسكنا بيد هنيبال المجنون
لندله على طريق الفردوس المفقود
اصعدنا فرعون على رؤوس الاصابع
ليتمكن من حك ظهره
الذي تجذم في سهل الرمال
قذفنا قرطاجة في الماء من الظماء
ومع ذلك بات كل شيء في غطيطة
حتى الليلة الاخيرة لشهر آذار
ماعدنا الذين ما زلنا نسافر
ونسافر ونسافر ونسافر
الى هنا حيث لن يكون لنا شيء

ومرة أخرى قالوا لنا
انتم ابناء آدم وحواء الخاطئة
فابحثوا عن جذوركم التي لاتملكونها

بحثنا وبحثنا وبحثنا
وجدنا كل شيء وما لنا شيء
أي شيء
لانا فتحنا كفنا

ومن كفنا طارت العنقاء واحترقت
ومن رمادها عادت حية مرة أخرى
ومرة أخرى فتحنـا كفنـا
فطارت العنقاء واحترقت
وبقيت زهرة في رمادهـا
اسكرتنا برائحتها
انزلنـا ملوك العالم على الاحضـان
واعطونـا لنشرب ما حرم من الشراب
ومن السكرة ما زلنا تتطلع للشمس
يا ترى هل ستوهبنـا مملكة مـا
هل يمكن ان تفتح ثانيـة اهرام خوفـو
لتزجنـا فيه أحيـاء
او لتخرج ذلك الفرعون المجنـون
الى وسطنا ليقرأ لنا الكتاب الملعـون
من حيث علينا أن نبدأ عد الزمـن
من النهايـة الى البدايـة
أو من البداية الى النهاية

وبحثنـا وبحثنـا وبحثنـا
والآن اين نحن ، ماذا نفعل وماذا سنفعل ؟

الالـه وزّع اشجار الجـوز
حيث كنتم كما قالوا لنـا
وبعد أن وزعت الاشياء الاخرى
نزلت الشمس على لسانتا وما تكلمنا
والصحراء بقيت على كفنـا
لا يمكن بعد الآن ان نزرع الزهرة
ولا يمكن بعد الآن ان تطير العنقاء
سهل الرمال اغلق فمنـا
لا يمكن أن نأكل
ولكن يمكن ان نموت كما قالـوا

ولكن من سمع هذه الكلمات
من جاء بعد آدم وحـواء
سمّوه غير شرعي

قالوا لنا ابحثـوا عن جذوركم
فهذه ليست الارض الموعودة لكم
فبين الاربعين ابنـا وبنتا لآدم وحـواء
ليس لكم أثـر
يمكن أن تكونـوا ابنـاء الرمل الحـار
الذي خلقكم من النار المباركة

لذا لا تتوجهوا الى آدم وحـواء
إذ لستم بين الاربعين ابنا وبنتـا
لآدم وحـواء
لأن أبناء وبنـات آدم وحـواء
قد توزعوا عبر هذا السهل من الرمال
وتركوا اثرهم في كل مكان
فابحثوا وابحثوا وابحثـوا
عن فلسطين تلـك
ايـن فلسطين ؟
يمكن أن تدوروا على سيخ النـار
ان تحرقوا الاصابع من اللمس
ان تسافروا الى آخر العالم
وأن تعودوا ثانيـة الى هذه الرمال
ولكن لن تأخذوا شيئا
لانكم أبناء غير شرعيين لآدم وحـواء
واذا كنتم
ويمكن ألا تكونوا حتى من هذه الارض
يمكن ان تلقيكم الالهـه
لتعوّوا عبر العالـم
حتى يشملكم الله برحمتـه
حتى يمنحكم الشمس كالصاج

من المشرق الى المغـرب
لتدفئوا اقدامكم الحافية
ولتدفعوا شهرزاد في مزيد من الاحلام

وقالوا لنا ابحثوا وابحثوا وابحثـوا
ونحن بحثنا وبحثنـا وبحثنـا

قالوا أنك الابن الاصغر لآدم
والاثم الاكبر لحـواء
ارحـل عبر العالم على ظهر ناقـة
لكي لاتقع في الاثم في أي مكان
ولكي لاتشاهد أباك في أي مكان

الرحلة استمرت واستمرت واستمرت
وما توقفـت الاقـدام المتعبـة

في أي مكان ما كانت هناك نقطة ماء مقدسة في الرمل
بل فقط عالم الرمـل
وحتى الشمس قالوا من الرمـل
كل شيء قالوا كل شيء
قالوا أنك الابن الاصغر لآدم
والاثم لحـواء
فيما لو كنت

ما اجتمعنا في أي مكان بآدم الخاطىء
ولا بحــواء الخاطئــة
في كل مكان بحثنا وبحثنا وبحثنــا
حتى هبطنا فلسطين
يا أبناء آدم الخاطىء وحــواء الملعونــه
من حملكم الى هذا السهل الذي ليس سهلا
لنبعث المــوت
الذي حملناه على ظهورنــا عبر العالم

ماذا حل بكــم
يا أبنــاء آدم وحــواء
من أين جئتم الى هذا السهل الذي ليس سهلا
حيث كنتم ألمــا على رؤوس الاصابــع
وتحت الاظافر منذ الآف السنين
كنتم حملا لا يطاق على ظهر كل انسان
وما زلتم تبحثون عن الظلال الضائعة
التي تجدونها فينــا
نحن أبنــاء آدم البرىء وحــواء المقدسة

آه فلسطين

بدري هيسا

فلسطين

بين فلسطين والفلسطيني عشق
يفوق كل عشق
بين فلسطين والفلسطيني حب مجنون
ربط بينهما على مرّ القرون

حلت القيامــة بهما
لكن ، لا فلسطين ولا الفلسطيني ركعـا أبـدا

لقـاء

ذلك الرجل جال بشوق بعيداً بعيداً
ليطفىء شوقه وليعاني في أرض غريبـه
أماه ، قالت فتاة ، ما قبلني أحد بقوة
كما فعل هذا الرجل الغريب

علي موساي

صرخات فلسطينية

الارض ، يا امي العزيزة

مازلت خالــدة
بألف اسم
ومع أكثر من ألف قبر
ما استطاعــوا ان يدفنوك
ما زال فيك أملي
وفيك نجاتي
وفي سبيلك فقط سأفقأ عيون الشيطان
باسمي من الرعــب
لقد بدأت منذ زمن قرون الشيطان[1]
أحالتني الى رماد دون رحمة
كما لم أكــن
وداسوا عليّ بلــذة
كما لو كنت دون فم

(١) في المتولجيا الالبانية يمكن للشيطان أن يظهر بهيئة انسان باخفاء قرونه وذنبه ، ولكن حين تبدو قرونه فهذا يعني ظهوره على حقيقته .

دون حـزن
ودون الم للأرض
تلاعبـوا بـي
كما لو كنت هابطا من الشمس
او لقيطا مرميا في الشارع

الارض يا ارضي

أنت ، الصحراء الظامئة
اللاهبـة ، الخالية من الاشجار
لاتتركيني دون قبر
لا تتركيني دون حـق
ابحثي عن الشيطان
بين السحب القاتمة من البارود
العنيـة لـي
حتى في الرمـاد
دون أمـين
العنيـه لي في الظـلام
القيـه في هاويتي
لا زهـق روحـه بيدي

ليموت دون دم ، دون قبر
ذلك السفاح
الذي ليس له اسم

عبد العزيز اسلامي

سبعة ملايين انسان يفرون من الموت

البدو يموتون على الاقدام
وهناك القليل من المتسولين
اوليس هناك ابدا
سبع سنين عجاف
في الصحراء ليس هناك واحات
ليس هناك ناقات
ولا أحد يعرف
هل ستهطل الامطار

وسط الدهشة

الجفاف الذي ولد المصائب
قطع شرايين الواحات
ليشرم منها الدم

حـين خرجت القافلـة مـن جهنم
كشـف المحيـط الابيـض
عـن الآثـار الدمويـة

رذاذ المطـر المالـح
شـوّه شـكل الفـم
وسـط الدهشـة فقـط

حرارة البرد

الجفاف يلاحق في امكنة التعذيب
الذين يموتون عموديـا ،
قد قالوا عن المـوت
هادىء ومستقيم
أما الموت المائـل
فهو في الكلام والفعل الشنيع (١)

كل ما يقال يكرر ويعـاد

(١) كما يبدو لدى الشاعر ثلاثة أشكال للموت ، الموت العامودي (على الاقدام) وهو البطولي ، الموت المستقيم وهو العادي ، والموت المائل وهو الشنيع.

دون أي شيء ، دون أي شيء واضح
عن الحياة المترمّدة كما في اللعبــة
عن الحياة المحكومة يا للعنــة
بين الصيف والصيف ، دون مطر
وبين الشتاء والشتــاء ، دون فم

الظمــأ

اللسان قطعة من رمــاد
مسخ الى حجر بسبب الكلمات الملعونة
الاصابع في الايدي اغصان شائكة
منحتنا بعض الامل والكثير من العزاء

عوضا عن النبــع
يقودنــا الافق الى واحات حياة جديدة
الشمس أصبحت كالصاج
والرمال اصبحت كالفرن

في بحر الرمال هناك صخرة فقط
منحتنا الامل لخطوات أخرى
ومع حبات الماء التي تخفيها في صدرها
بدت لنــا الرمال مرجــا

الرمال

رمال الشمس منحتنا الرماد
اما رمال القمر
فهي قطعة جليد في النوم !

من يستطيع أن يقول أن الرياح لا تعلم
والمصير الاسود يعلّم كل شيء ؟

المحكومة باللعنة

الرياح تشبع بآثار الدم والصديد
دون عودة ، دون نفس ، دون أمل

العين تتسلل في الجو المكفهر
حيث يتعانق الضبع والغزالة

الرأس على الرأس ، والشفة على الشفة
على وسادة ثعبان مكوّم كالجماد

الجوع

الريح تغطي الاثار للآخرين
للبائسين الذين سيأتون بعدنا !

نحن الكبار نعيش على أمل
أن لا يأكل أطفالنـا
جيف الماعز والناقات

نود لو نكتشف واحات جديدة
الا أننـا نتيـه
وسط الصحراء التي لا تنتهي

الريـح تغطي الاثـار للآخرين
للبائسين ، الذين سيأتي دورهم بعدنـا !

في وجـه العالم

كل شيء يحدث في وجـه العالم
كما في الحكايات القديمة
رائحة الموت تدق باب الضمير
وتنادي العقل الزاحف على يديـه :
ــ حتى يد الشمس العظيمة
ليست طويلة كما قالـوا
وحتى في عيون الموت لم ترتفع
الى مكانة المعبـود !

البحر يثور ويولد وسط الآلام
حوتـا ضخما في الليـل
وليس هناك من يقول « هس » !
لذلك الفقير الذي يثـور !

صعوغ في قبضات

لن امر عبر الآلام
لن احشر عبر ذات المعاناه
لن اسبح وسط ذات الدموع
لن ازحف وسط ذات الحمى
اذا ما زارتني الامطار

لن أحمل في روحي ذات الجروح
لن أجعل ذات الآثـار داميـة
لن اتنشق ذات النفس في الهلاك
لن اغذي ذات القبور بالايام
اذا ما زارتني الامطار

لن أعاني ثانية من ذات التمزّق
لن ادوس ثانية ذات الخطوات

لــن يمضغنــي ثانيــة ذات الجــوع
لن يشربني ثانية ذات الظمأ
اذا ما زارتني الامطار

في القلــب

مثل جذوع الاشواك
اقف في الصحــراء
في قلبك الملتهب
أيتهــا الشمس السوداء !

توسلات جافــة

أيهــا المطــر
سأعطيك اقدامي الداميــة
مع طبل أطفالي الجائعين

أيهــا المطــر
سأعطيك أجنحتي المسترخية
مع طبل أطفالي الظامئين

أيها المطر

سأعطيك عيوني الملتهبة من الظمأ

للواحات الخضراء ، للناقات

أيها المطر

سأعطيك كل جسدي الممزق من الضرب

لتعيد لي ثانية الجنود على الحدود !

الوصية الاخيرة

اذا عادت الامطار الضائعة

سأذهب الى هناك

من حيث فررت من الموت الجائع

اذا ولدت الواحات مرة أخرى

سأذهب الى هناك لاستريح

من حيث فررت من ذاتي الملعونة

حسن حساني

العنقاء الفلسطينية

خلقت وسط الصحراء
وسط الواحـات الخضراء
بعين واحـدة
جذعها متجذر في طبقات الارض السبع
وفروعها منتشرة في السماوات السبع
ألا تسمع
كيف تأتي من الارض رائحة الخبز
رائحة الـدم
التي تسقي الصحاري والنخيل

أكلمك بلغة البلقاني العريق
مع ابتسامة الجدود المرتسمة على حجارة البروج
وعلى رماد الوجاق الذي يحفظ ثمره القديم
لعصر ما والحب ينمو ولن يموت

يا ترى من أين يصب هذا النهر من الدم
في طريق الموت

والنهد يمتلىء بالنار
وبتجاهل الربيع والعرس والموت
في جناح ذلك الطائر الاسود
يا محمود درويش ذو الكلمات النارية
« لأن فيكم أطفال المستقبل .. » (١)
للقرن النيتروني
وأنا البلقاني الصغير
اتمزق حزنا كل ليلة في الساعة السابعة والنصف
حين تبدأ أخبـار التلفزيون
بأحداث الشرق الاوسط
مع أنك تصبحين أقوى من الجلمود
وتمسين أشد التهابا من الشمس

في نصف رئة يطفو النار والدخـان
والامطار تبلّ الشفاه ، المسلوخه من العطش
ابتهـا العنقـاء ،
في حقل خبزك لن يموت الحب
في كل مساء أو في كل صباح

(١) بيت من قصيدة لمحمود درويش نشرت في اللغة الالبانية ، بالاضافة الى قصائد اخرى في ديوان « نار على الرابية ١٩٧٧ » وهو أول ديوان شامـل لشعراء بلدان عـدم الانحيـاز .

بل سينمو كما ينمو القصب
في الاودية الخضراء لعصر أجبر على الركوع بالدم

الشظايا تصيب القصب
والقذائف تسقط البرتقال
ولكن العنقاء تنمو ثانية
تنمو عملاقـــة

فلسطين العنقـــاء
بجروحها السبعة في جسدهـــا
وبشموسها السبعة في جبهتها
تلبس الدم والصباح المتفحم

في يوم ما سيرتوي القصب من الدم
وسينمو
وستروون للاطفال عن الخبز الاحمر
كما في الحكايات القديمة في « ألف ليلة وليلة »
وستثير هذه الحكايات الدهشة في عيون الاطفال الابرياء
ولكنهم سيصدقون

❊ ❊ ❊

بنات توندرلاكي

بقلم الكاتب المجري : بينو هلتاي — ترجمة : جورج صدقني

نبذة عن الكاتب : كتب بينو هلتاي (١٨٧١ ــ ١٩٥٧) عن نفسه ، فقال : « قصة حياتي ؟ عادية جداً ومملة ، إنها لا تستحق ان اكتبها ، وتستحق أقل أن تقرأ . لقد ولدت مثل معظم الناس ، وفي الثانية عشرة قررت أن أكون شاعراً وصحافياً » . وقد تحول هذا القرار الى حقيقة واقعة حتى قبل أن ينال شهادة (البكالوريا) . والتحق بكلية الحقوق ، غير انه سرعان ما ترك الجامعة . وصار صحافياً . في البداية جرّب الكتابة الجدية ، ثم تحول فجاة إلى كاتب ساخر لاذع السخرية . وفي عام ١٩١٣ ، كتب بين المزاح والجد ، فقال : « إنني ، من الآن ، اجذّف في زورق السخرية ، بلا أمل في الخلاص » . ثم أضاف قائلا : « أريد أن أستمر في الكتابة بضع سنوات أخرى ، ثم أختار لنفسي مهنة مشرفة » .

أشهر مسرحياته : الف ليلة وليلتان ــ الفارس الأبكم ــ المقهى الصغير . وأشهر رواياته : آخر البوهيميين ــ المشعوذ ــ السيد سلفردج . وقد ترجمت أجمل قصصه القصيرة الكثيرة جداً إلى عدة لغات ، واقتبس عدد من الافلام ، في بلدان متعددة ، من غيرها من قصصه القصيرة ــ المترجم .

بنات توندرلاكي كن ثلاثاً . اثنتان منهن كانتا شريفتين ، والثالثة لم تكن كذلك . هاتان الشريفتان كانتا تدعيان ماريسكا ويولان ، أما الوحيدة ، التي لم تكن شريفة ، فقد كان اسمها بوتي . إنها لم تكن حتى ممثلة ، بل كانت مجرد فتاة

استعراض ، وهـذا يعني ، بالمجري الفصيح ، انهـا آنسة تعرض مفاتنهـا وتحيا حياة لا أخلاقية . كان لها في الواقع صديق وحيد وواسع الثراء . كان ينفق عليها ، فأثث لهـا شقة فسيحة ، وأغدق عليهـا الأموال والحلي ، وغمرهـا بالعطور .

كانت ماريسكا ويولان تسكنان عند بوتي ، التي كانت تعطيهما الأثواب ، والقبعات ، والحلي ، والنقـود ، لأن بوتي كانت أختاً طيبـة ، تقـدر الفضيلة لدى أختيهـا الأصغر سناً منها حق قدرهـا . وماريسكا ويولان كانتـا ، هما نفساهما ، تعتزان بكونهما فتاتين شريفتين ، لا يتعين عليهما أن تقدما شيئا في مقابل السكن ، وجوارب الحرير ، والقبعات ذوات الريش ، والأحذية الملمعة .

وكان لدى ماريسكا ، فوق ذلك ، سبب خاص للاعتزاز . فقد كانت تتهيأ لتصبح معلمة ، وكان دبلومها قد صار في جيبها ، ولم تعد تنتظر إلا قرار تعيينها . غير أن هذا التعيين طال انتظاره ، رغم أن البارون ـــ بارون بوتي ـــ قد تنازل فتدخل بنفسه لدى بعض القضاة ، والمستشارين ، ولدى رئيس البلدية بالذات .

أما يولان ، فكانت ذات طبيعة حالمة ، كانت تريد أن تتزوج . زواجاً فاضلاً شريفاً ، كما تفعل الفتيات البورجوازيات الرصينات الأخريات ، فتقوم بأعمال المطبخ بنفسها ، وتتشاجر مع الخادمة في شقة من ثلاث غرف ـــ آه ! آه ! وثلاث مرات آه ! ـــ هو ذا ما كانت تعبده ، هو ذا الحلم الذي كان يبقيهـا على قيـد الحياة . لقد كانت تنتظر بفارغ الصبر رجل الخلاص ، الزوج المنقذ !

وكن ينتظرن . كن ، الثلاثة جميعاً ، ينتظرن .

ماريسكا قرار التعيين ، ويولان زوجاً ، وبوتي أن ترى تحقق حلمي أختيها الأصغر منها .

وذات صباح عادت ماريسكا مشرقة الوجه . وقالت لبوتي :

ـ يا صديقتي ، أعتقد في هذه المرة ان الأمر قد انتهى . فالرجل النافذ ، الذي يتعلق تعييني بمشيئته ، قد ابلغني ان اذهب لأراه بعد ظهر هذا اليوم .

قالت بوتي : ـ اخيراً !

وقالت يولان : ـ حظك أنت شق طريقه على الأقل .

واضافت في زفرة : ـ ولكن اين يتعثر حظي ؟

وعلى إثر ذلك بقين هنيهة شاردات مع أفكارهن .

واخيراً قالت بوتي : ـ ارى انه ينبغي تماماً ان اتولى الأمر بنفسي . فانت لن تتزوجي ابداً من تلقـاء نفسك ، إنك حقا تخجلين خجلاً مفرطـاً . انا التي ستزوجك .

قالت يولان ، وقد غمرتها السعادة : ـ آه ! حقاً ، إذا كنت تريدين .. فانت كل شيء ينجح على يديك .

فرمقتها بوتي متأثرة ، وقالت :

ـ من الغباء أنني لم افكر في ذلك من قبل . فالبنات الفقيرات من نوعك ينتظرن امير الأحلام عبثاً . إن المال هو الذي يتخذ القرار . والفرسان الراغبون في خدمتك لا يتجاسرون أن يقتربوا منك ، لأنهم يظنون انك لا تملكين شروى نقير . ولكنهم مخطئون . لقد قررت في هذه اللحظة بالذات ان أمنحك عشرين الف كورون بائنة (دوطـة) .

فلبثت يولان خرساء فرحاً . وقالت بعد صمت طويل :

ـ عشرين الف كورون ! ...

وقالت ماريسكا ، وقد اخـذ الحنان منها كل مأخذ : ـ انت الأفضل بين الأخوات .

فأجابتها بوتي ، متأثرة هي أيضاً : ـ نعم ، لقد أحسنت قولاً ، إنني بنت طيبة . هذه العشرون ألف كورون هي ثروتي كلها . ولكنني اعطيها لك .

* * *

عادت ماريسكا من عند السيد النافذ ، الذي كان تعيينها متعلقاً بمشيئته ، حتى قبل ان تذهب بوتي إلى المسرح . وكان وجهها متجهماً .

سألت بوتي بقلق : ـ لم يسر الأمر على ما يرام ؟

قالت ماريسكا : ـ كأنه كذلك .

ـ فماذا جرى ؟

ـ آه ، لا شيء ! .. كان بالإمكان أن تسوّى القضية ، وأن أعين فوراً ، ولكن الأبله أفهمني بحزم أنه لن يفعل ذلك مقابل لا شيء .

ـ يريد مالاً ؟

ـ تظنين ! لكن يبدو أنني اعجبته ، ولذلك ..

ـ آه ، حسناً !

أخذت بوتي تفكر . ويولان أيضاً . ولاذت ماريسكا بالصمت .

سألت بوتي بعد صمت قصير : وماذا قلت له ؟

فصاحت ماريسكا بنبرة تنم عن الشعور بالإهانة : ـ وماذا تريدين أن أقول له ؟ أنت لا تتصورين على كل حال انني كنت سأدخل في مناقشة مع رجل من هذا الطراز ؟ أنت تعرفين مبادئي ، الخ ..

فقاطعتها بوتي فزعـــة ــ لكن ، ارجوك ، هيّا . إنك تسيئين فهمي . أعرف حق المعرفة أنك بنت شريفة ... ولكن ... مع ذلك ... كيف انتهى هذا ؟

ــ لقد انصرفت . تركته فجأة دون استئذان . قلت له إن بوسعه تماماً ان يحتفظ لنفسه بقرار التعيين ، لأنني أفضل الموت على الانحراف عن الطريق المستقيم .

قالت يولان مؤيدة : ــ أحسنت القول .

وأقرت بوتي : ــ تماماً . وهو ... بماذا أجاب ؟

ــ بأن هذا مضحك ، وانه ينبغي علي أن أفكر ، وأن الأمر يتعلق في نهاية الأمر بمستقبلي ، وانه لا يريد إلا مساعدتي ... وقال لي أن أعود غـــداً ... وهنا أجبته بأنني لن أطأ مكتبه بقدمي بعد ذلك ، وانصرفت باكية . ولكنني فكرت في الطريق بأنه سيكون من المؤسف مع ذلك خسارة فرصة كهذه .. اليس صحيحاً؟

قالت يولان : ــ بالتأكيد .

وقالت بوتي : ــ بالطبع !

ــ لذلك فكرت بأنه ربما كان هناك حل ...

سألت بوتي : ــ اي حل ؟

ــ لو ذهب احد لرؤية هذا الرجل ، ليشرح له انني لست امرأة من هذا النوع . لو اثار أحد عطفه لكي يسلك مسلك رجل مهذب، ويكف عن الابتزاز ...

سألت يولان : ــ اجل ، ولكن من يمكن أن يذهب إلى عنده ؟

فقالت ماريسكا بنبرة فيها شيء من عدم الاطمئنان : ــ بوتي ... إن لها لسماً ، وهي تحسن الكلام ، ولكلامها وقع في نفوس الناس ...

شحب لون بوتي :

ـــ اذهب إليه ، أنا ؟

فردّت ماريسكا متحمسة : ـــ لم لا ؟ ليست هذه تضحية كبيرة جداً ... بوسعك تمامـاً أن تفعلي هذا لأجل أختك . أراهن إنك لن تحتاجي إلا إلى كلمة تقولينها له ، فأنال تعييني .

نظرت بوتي إلى يولان ، وكأنها تنتظر منها كلمة احتجـاج ، غير أن هذه قالت :

ـــ أنت فتاة طيبة جداً يابوتي ... لقد سبق أن أمنت مستقبلي . فيجب أن تفعلي شيئاً لهذه المسكينة ماريسكا ..

سألت بوتي أخيراً بمرارة : ـــ و ... إذا هذا ... هذا السيد لم يشـأ كذلك أن يمنحني هذا ... مجاناً ؟

فتبادلت أختاها ابتسامة ، ثم قالتا في وقت واحد :

ـــ هيا ، يابوتي ، مع ذلك ! ...

* * *

جلب تعيين ماريسكا حسن الطـالع ليولان . فقد أخـذ معلم من زملاء ماريسكا يتردد على الأخوات الثلاث ، وشغف بيولان . ويولان لم تصدّ الفتى . ولم يزد حب هذا إلا إتقاداً عندما عرف أن في الأفق عشرين ألف كورون .

كانت ماريسكا تشجعه :

ـــ اطلب يد أختي من بوتي .

ـــ كيف ؟ ... منها ؟ ...

— نعم . إنها هي ربة الأسرة . ويولان مدينة لها هي ببائنة العشرين ألف كورون .

شحب لون المعلم قليلاً .

— نعم ؟

— نعم . لماذا ؟

— لأن ... إيه ... هــذا مربك قليلاً . إفهميني جيــداً ، انني احترم الآنســة أختك احترامــاً كبيراً ... ولكن هوذا ... إن لــي نفساً شــديدة الحساسية ...

شزرت ماريسكا المعلم بنظرة باردة ، وقالت :

— هذه كلها ترهات ! يولان فتاة طيبة ، وأنت رجل طيب ، وستكونان ، كلاكما ، سعيدين . ليس لك أن تسعى إلى أبعد من ذلك ، وكل لحظة تؤخــر فيها سعادتك ...

غمغم المعلم بشيء ما ، ثم ادرك أن الحس السليم اساس النجاح ، فارتدى ردنغوته ، الذي أطلق على طرازه اسم عاهلنا فرانسوا جوزيف الأول (١) المجيد ، وطلب يد يولان .

اوشكت بوتي أن تبكي فرحاً ، وباركتهما بعاطفة كعاطفة الأم تماماً .

كان الخطيبان سعيدين جداً . وكان المعلم يأتي كل يوم ليزور خطيبته . وكل يوم كان يقدم له طعام خفيف ممتاز ، ثم كان يدخن سيجارات وسجائر البارون . غير أنه ، كما كان يقول هو نفسه ، كان ذا نفس شديدة الحساسية .

(١) امبراطور الامبراطورية النمسوية — المجرية .

كان يقول ليولان في كل مناسبة : ــ إنني لا أحب هذه الأشياء ، ولو كان هناك سبيل لرفض هذه البائنة ، لفعلت . . .

فكانت يولان تقول غاضبة : ــ لكن هذا من قبيل الجنون ! ان ترفض مبلغاً كهــذا !

ــ مع ذلك . . . أنت تعرفين ان أختك فتاة ممتــازة ، لكن الشرف ، مع ذلك ، يتقدم على كل شيء .

قالت يولان باقتناع عميق : ــ دون أدنى ريب .

ــ وعندما نصبح زوجاً وزوجة . . .

ــ اجــل ؟

ــ لا تغضبي ، يا حبيبتي ، لكننا سنكف عن زيارتها . . .

قالت يولان طائعة : ــ كما تريد يا عزيزي .

ونظرت إلى خطيبها نظرة تنطق بالسعادة .

* * *

بنات توندرلاكي ، كمــا سبق أن قلت ، كن ثلاثاً . اثنتــان منهن كانتــا شريفتين ، والثالثة لم تكن كذلك .

* * *

أوجاع أندريه فوزنيسنسكي

قصائد وريبورتاجات

ترجمة: ابراهيم الجرادي

❋ ولد أندريفتش فوزنيسنسكي في موسكو عام ١٩٣٣ .

❋ عضو أكاديميتي الفنون في بوسطن وباريس .

❋ يمارس الرسم وهندسة العمارة .

❋ ترجم كثيراً . ومن أهم ترجماته أعمال لروبرت لويل ومايكل انجلو .

❋ من مجموعاته الشعرية إضافة الى قصائده المرسومة : الكمثرى المثلثة. المبدعون . ظل الصوت . الزجاج الملون صناعة المبدع . قلب آخيل . طلقات في الجدار . نمنمات . خشب الفولونسيل السندياني ...

❋ بدأ كتابة الشعر مبكراً ، وعلى يدي" بوريس باسترناك أكمل طريقه الشعري والحياتي . وفي أواخر الخمسينات ، حيث بدأ نشر قصائده ، أعلنت عن نفسها مرحلة" جديدة" في الشعر السوفيتي . كان فوزنيسنسكي أحد أركانها مع يفغيني يفتوشنكو ــ الذي سبقه الى النشر ــ ، بيلا احمدولينا ، بولات آكوجافا ، روبرت روجدستفنسكي ، وهؤلاء ــ رغم الخصوصية

الفردية ـ شكلوا اتجاهاً في شعر ما بعد الحرب ، حيث انضم لحركتهم فيما بعد كوزتسوف ، ألجاس سليمانوف ، سالا وخين وغيرهم ، انهم بشكل أو بآخر امتداد" شرعي للشعر السوفيتي في أوائل هذا القرن ، وذلك باستفادتهم من بدايات مايكوفسكي التجريبية ، ومن غنائية ماريا تسغيتايفا ، و « غموض » باسترناك وتراكيبه ، وأشعار كيرسانوف المرسومة ، وفي تنظيراتهم دعموا آرائهم باستنادات تتكيء على تجارب الشكلين الروس أمثال : تينانوف ، شكلوفسكي ، خليبنكوف ، جرمونسكي ••• الخ والتي يؤكد النقد السوفيتي المعاصر بأنهم بدايات « المودرنيزم » في أوربا •

❊ أندريه فوزنيسنسكي يثير حفيظة النقد التقليدي بتصريحاته التي يؤكد فيها تأثيرات « المدارس الحديثة » عليه ، فقد ذكر أكثر من مرة اعجابه بالرسامين بيكاسو ، مودلياني ، شاغال • وبالمعماري كاربوزه ، والموسيقي بروكوفيف ، والسينمائي فيلليني ، ومن الكتاب بوليا سيلينجر • وجميعهم ، كما هو معروف ، ينتمون الى موجة « الحداثة » في الفن والأدب • إضافة لإعجابه بلوركا ، ايلوار ، وايتمان ، نيرودا •••

❊ يكتب الملحمة بشكلها التقليدي • ويكتب القصيدة ـ السطر • وفي مجموعته « ظل الصوت » نشر « قصائد للعين فقط » • ويحاول ، أيضاً ، في « البوب ـ آرت » وفي الكتابة التي تقرب الأنواع الأدبية ، وتؤكد التواصل بين الفنون • إنه يستفيد من كل الإتجاهات ويبقى خارجها •

❊ هذا الشاعر لا يُترجم ! وتأتي هذه الترجمة ، من وجهة التعريف به ، لأنني لا أستطيع تصوره شاعراً عظيماً خارج اللغة الروسية بتفردها ، وعمقها ،

وإيحائها الخاص ، إضافة الى أن فوزنيسنسكي يمارس الرسم ، ويوسع قاموس اللغة بالخروج عليه ، ولا ينسى كونه مهندساً معمارياً ! وكل هذه الروافد نجدها بين دفتي" كتاب شعري • ومن تجاربه الأخيرة ـ كما أشار يفتوشنكو ـ محاولته نقل ايقاع الرقص الشعبي الروسي الى قصيدته ، كما يحاول نقل حركة الجاز الإيقاعية شعرياً ، وقد ذكر مرة" إنه « يكتب بقدميه » وأن « المغامرة أثمن ما يمكن أن يكون في الشاعر » •

* في بداياته قال : إن القضية ليست في الشكل ، هذا لم يمنعه من أن يكون أكثر الشعراء السوفييت « غموضاً » وتجريباً ، وهذا ما يجعله ، أيضاً ، أحد شواغل النقد السوفييتي المعاصر قبولاً" ورفضاً •

* * *

الزنوج يغنون

نحن ـ تمتمات" هوميروسية
وعيون" مفجوعة
تتلوى كالدخان صعوداً ـ نحن
أنتم ـ بيض" كالبرادات ، كالشاشِ الصحي الأبيضْ
دون حياةٍ أنتم ••
كالموتى أنتم ••
عمّ نغني لكم يا محترمونَ
ويا سادة ؟

عن أيديكم ، ذاك الشمع اليشبه جيراً أبيضَ
مطفــأ
عن أيديكم كيف انطبعت فوق ظهورٍ حزنى
عن نسوتنا الحزانى ، كيف احترقن بعارْ ـــ
صارْ ــ صارْ !
« واخ ــ واخ ! »

* * *

ننتهكُ
كالفرس الناحل نضمرُ
تسول سعر الشاي ، وفي الحلباتِ
وفي الأسواقِ
نحملُ في أعيننا العتمةَ
لكــنْ ..
حين تنــام الليل يشع الضوء من الأكتافْ
كالنجم يشع على الشباكْ
فينــا ،
فيمن صارعَ
فيمن لاكمْ
كالشبوط بجوف البركةِ ،
كالرادارَ الأسودِ

يُعكس فينا مــدار النجم •
أبهةٌ يُعكس ، حــزناً
« مدار الدب » و « مارس » فينا •

❋ ❋ ❋

نحن زنوجٌ ـ نحن شعراءْ
فينا يرقص هــذا الكونْ
نرقدُ •• نرقدُ كالأكياس
ملأى بالنجم وبالأسطوره ••

❋ ❋ ❋

عندما نُضربُ بالأقــدام
تُرفس السماء •
لأن تحت هــذه الجزم
يضج كوننا العلوي •

مــوت بازوليني

لقد أغرقوا بازوليني بالكلور المميت
كما أغرقوا ، من قبل ، لوركا •

هناك علامةٌ واحــدةٌ

تلك التي تأكيدها لم يزل صحيحاً :
المقتولون ـ الشعراء .
القاتلون ـ الفاشـية .
إلا أن الحضارة الشعرية
لم تزل تعيش في المخيمات

لكنْ .. إذ لم يقتلوا الشعراء
هذا يعني أنْ لا أحداً يقتلون .

* * *

الإنسحابـات (١)

مريضٌ أنا . أعيش قرب البحر
ما من « أمريكا » . يا للسخرية !
أعيش سعيداً ، أسـيراً
بالإنسحابات الوقحة ،
إلا أن « موزا » [٢] تحرك لي الشاي
تساعد وتعوق
تنتظر عضو هيئة التحرير [٣] كوسولابوف ...

(١) القصيدة ، في الأصل ، بلا عنوان . « م »
(٢) ربة الإلهـام . « م »
(٣) ناقد سوفييتي معروف ، عضو هيئة تحرير اكثر من مجلة أدبية .

مُلطخاً الشاطىء بالبقع ،
بحري يتراجعْ
يعري نفسه ،
وعشب المَـاء ،
والرمل ،
وبعدها يعـود للشاطىء
يغلي كمدحلةِ الإسفلت !

* * *

ستربتيز

بهبلٍ ..
تتعرى في الوصلة راقصةٌ
أنـا أبكي ؟ ..
أم أن عيون البراجكتور عيناي ؟
وشاحٌ ينتزعُ
شـال ينتزعُ
ينتزعُ الزخرف
تنتزع كما القشر عن الليمونْ .
الحـزنُ غريبٌ في العينين ،
غريبٌ كالشوق بعين الطيرْ .

هذا الرقص يسمى « ستربتيز » .
رقصٌ مرعبْ .
صلعاتٌ .. تصفيرٌ في البار ،
وعيون المخمورين احمرت كالعَلَقاتْ .
هذا الأشقر يبدو كالمضروب بمحِ البيض ،

يتبعها بالرأس اليشبه مطرقة آلية .

وذاك وحيدٌ كالبقه ،
مصابٌ بالسكتة والرعبْ .
والساكسيفون يعوي « بسفر الرؤيا »[1]
ألعن مقياسك يا دنيـا
ألعن اشراقك ، يا مارس ، فوق الجسر
ألعن مبهوراً
هيمانـاً
فالمرأة كالمطر ـــ الندف

ترقص تحت الجاز .

« هل أنت أمريكا ؟ » ـــ أسألها كالأبلهِ .
جالسةٌ
لا تنطق ، وتلف السيجاره .

---

(١) من الكتب الكنائسية المسيحية التي تتحدث عن نهاية العالم . «المترجم»

والولد اليافع يصرخ : آخٍ ، غريب اللكنة يا ...
أحجز لي مارتيني و « الأبسنت » [1] .

* * *

الذكرى

الذكرى ـ إنها ذئابٌ في برية
تركض ، ترسل النظرات ـ
كالسباحين في سباقٍ مجنونٍ
عندما يتلفتون الى الخلف !

* * *

حلم

والتقينا مرةً أخرى
وشالتنا النواقل .
لقد تحاببنا طويلاً . إلا أنك لم تتعرفي عليَّ !
طالما اصطحبتِني الى البيت
أحببتِ

(١) من مظاهر الإحتجاج في دول الغرب ، وتتلخص في الابتعاد عن المشاركة في الانتخابات ، وحضور الاجتماعات العامة .. الخ . « م » .

وأعطيتِ الحبَّ .
لقــد عشنا معــاً زمناً
ولكنكِ لم تعرفيني .

* * *

٩٠ ٪

في الجسم البشري الحي ٩٠٪ ماء
كما في « باغانيني » ، لا ريب ،
٩٠٪ حب .
حتى لو أن الحشد ـ وكاستثناء ـ داسَكَ ،
فإن في الغــاية البشرية ٩٠٪ خــير .
٩٠٪ موســيقا ،
حتى لو كانت مصيبة ،
هكذا فيَّ ،
وبغض النظر عن الأوساخ ٩٠٪ أنت

* * *

●

أنــا ـ عائله
فيَّ كما في الطيف

● القصيدة ، في الأصل ، بلا عنوان .

تعيش سبع « أنا »
سبع « أنا » بغيضة° كسبعة وحوش°
والأزرق القاتم بينهن
ينفخ في المزمار !
لقد حلمت ذات صيف
بأنني ـ الثامن° .

لا تغب

لا تغب لألف عـام ،
لا تغب حتى ولو لنصف ساعة ..
ستعود ، أنت ، بعد ألف عـام
ولا تزال في اشتعالٍ شمعتك .

لا تغب غضباً أو فجـأةً .

سيغيب الجميع .
أنت الوحيد لن تكون من عدادهم .
ولتكن من بينهم استثناء ،
لا تغب .

ولن تغيب فينا ساعاتنا النجمية

ستظل ، الى الأبد ، هناك حيث تحملنا الطـائرة وحيدين
نحلـقُ ،
نحلـقُ ،
وتظل نحلـقُ ،
مربوطين بحزامٍ واحـدٍ ـ
وخارج الزمن
وأنت تغفو على كتفي
وكالنـار ،
تشع ـ خفيفاً ـ راحة يدك ، راحة يدك •••

لا تغب من حيـاتي
لا تغب فجـأةً أو غضباً •

هناك آلاف المصابيح
وفي كلِ مصباحٍ آلاف الشموع
إلا أنني بحاجةٍ لشمعتك أنت •

لا تغب عنا أيهـا النقـاء
لا تغب حتى ولو اقتربت النهـاية
لأنني لن أسمح لك بالغياب حتى لو غبت أنا ،
ورغم كل شـيء
لا تغب •

• قريـة في براتسك •

البيوت الجصية ، ذات الطراز الواحد ، في قرى البنائين ، تبنى هكذا : من اليسار ـ جدار" من الفخـار ، من اليمين ـ حاجز" من القش ، والفراغ الذي بينهما يردم بالخَبَثِ ونفايا البنـاء ••

البعض يبني قصائده هكذا :

من اليسار ـ جـدار" من حروف التاج ، من اليمين ـ قوافٍ ، أمـا ما بينهما ـ فالله أعـلم بما سيردم !

إنهم بذلك يتناسون ، أن الرائع في مزايا فـن العمارة ـ هو الرخص ، أما النمطية فليست ، ولا بأي حـالٍ من الأحوال ، ميزة إيجابية في الشعر •

* * *

• من الطـائرة •

الغيمة الصغيرة تبدو من الأعلى كقبة المظلة ، عندما يتساقط منها المطر • حسب القانون المنظوري ، الخطوط المطرية ستضيق من الأسفل ، تماماً كحبال المظلة المشعة ، هذا الوهم تؤكده القرية الصغيرة التي تترنح تحتها •

* * *

• • •

ما المهم عندي في الشعر ؟ إنه النظر في نفس الإنسان ، فيّ ، في « داخل » الوعي • لأن القضية ليست في الشكل •

الشكل يجب أن يكون واضحاً ، قلقاً بدون حدود ، مفعماً معنىً عالياً كالسماء التي لا يحدد فيها وجود الطائرة غير الرادار •

* * *

● نحـو نهـر ينسيه

في الصيف يعمل سفاناً ، وفي الشتاء مطارد كلاب ، إنه دون ــ جوان لا يضاهى • كان يقوم بتنظيف صدارته ويحدث ، عن تلك المعلمة الشابة التي أخـذها معـه الى الشمال •

« وداهمتنا عاصفة" ثلجية" • مفهوم ؟ والعاصفة الثلجية تعني أن تندس في كيس النوم •• تدفن نفسك فيـه ، وتنتظر • والكيس كان واحـداً لنـا الاثنين • مفهوم ؟ وهكذا ، ثلاث ليالٍ ونحن ننتظر ••• » •

القهقهة غطت كلماتـه •

ونحن ــ أواه ، كم نفهم ماذا تعني هذه الـ « ننتظر » ••• أما هو فقـد أخـذ يتلفت مدهوشاً :

« ماذا حل بكم ؟ لقد سقطنا من السفينة ؟ لم أمسسها ، لأننـا وقعنـا في مصيبةٍ » • ويستمر طويلاً ، يشتم بفظاظةٍ ، وبعد ذلك يسرع الى السطح ، يستمع الى القمـر •

ما هذا إلا لشعر !

* * *

● ● ●

فن العمارة ـ إنـه حديث مع الآتين .

قصر الكرملين الجـديد يدهش ، لأنـه تصاهر مـع الأبراج بشبابه ، وتباينه ، بالرذاذ العمودي المتساقط على الزجـاج والدعائم ، إنه رمزي" .

أفضل التقاليد ـ التجديد :

مايكوفسكي مـع حديثينا أقرب الى بوشكين من مئات الذين يتأتئون بـ « اليامب » [1] . بيكاسو يكمل « تيتسان » و « ربلوف » .

أظن ، أن من الواجب علينا أن نفحص كل فنانٍ بالضوء الثاقب لهـذا البناء ، تماماً ، كما يُفحص بجهاز روتنجن .

واللوحات ؟ هنا ، لا تستطيع تعليق « لاكتيونوف »[2] و « باجتات »[3] التجار ، والقصائد ؟ ولكن .. هـل بإمكان كل القصائد الدوي" بين هـذه التشكيلات الألمنيومية الصارمة ؟

* * *

---

(۱) من أوزان الشعر الروسي التقليدية . «م»

(۲) « فنان » روسي مبتذل . «م»

(۳) لوحات خشبية مخرمة، رخيصة . يعلقها التجار في بيوتهم كزينة.«م»

(٤) كاتب مسرحي وممثل ، ايطالي الهوية ولد ۱۹۰۰ ، من مسرحياته : « ولادة في منزل السيد كوبيلو »۱۹۳۱ . « هـذه الأشباح » . « الاسطوانة » ١٩٦٦ وغـيرها . « م »

● إدوار دي فيليبو

كان وجهــه يشبه أبنية بدايات عصر النهضة الشامخة ، والمتحللة بتأثير الهــواء • عندما كنا نتحدث عــن مسرح « سوفريمينيك » ، عن همنغواي وبازوليني انزلقت ، وفجــاءة ، على شفتيه الفظتين ــ وكأنما قدا من طَفٍ ــ ابتسامة غريبــة الإحتشام •

ــ كان من المفروض أن أعــود أدراجي ، لأنني مرتبط" بجولاتٍ فنيةٍ • لكنني أريد أن ألتقي عيد أول أيــار في موسكو •

ابتسمت له • كانت ابتسامات لا توصف •

وقتها كنا في مرسم أحــد الفنانين الموسكوفيين ، حيث كانت تطل علينا من على الجدران ، صور مخطوطات « نوفوغورد » القــرن الحادي عشر ، والتي كانت منسجمة ، وبصورةٍ غريبةٍ ، مع أثاث الغرفة الحديث ، وأصوات العجلات خلف النافــذة •

خرجت الى الشرفة • المدينة نامت • وفي البيت المقابل كانت النوافــذ مطفئة • ضوء جوبيتر القــوي ، المنسرب خلل أبواب الشرفــة كان يضربني في ظهــري •

ظلي الكبير ، والممتد بمغــالاة ، كان يرقد على جدار البيت المقــابل ، كما لو أنه شاشة عرض ، يغطي ويوحــد معه عشرات النوافذ وقد تحكمت فيها ، وخلف حواجزها وفتحاتها الأقــدار •

الناس عاشوا • ناموا • أحنوا رؤوسهم ليتعانقوا ، فكروا بأشياء ما تخصهم • عند البعض كانت النوافذ مفتوحة • الظل زحف إليها كرائحة التبغ الليلية والليلك • كنت أرقب باهتمامٍ وقلق هذا الكائن الضبابي الهائل ، المنفصل عني ، والذي وقعت تحت ملكوته الأشعث مئات المصائر •

« والفن أليس هو كذلك ، أم لا ؟ ــ فكرت ــ إنه ، أيضاً ، يوحد الناس » في الأسفل ، كانت موسكو تبحر • كانت تتنفس وهي تتوارى في الضباب •

إيفلين

قصة : جيمس جويس

ترجمة : محمد أبو خضور

جلست على النافذة تراقب المساء وهو يغزو الطريق • كأن رأسها منحنياً على ستائر النافذة ورائحة القماش المترب تملأ منخريها •

كانت تعبـة •

مر عدد قليل من الناس • ومر الرجل القاطن في آخر منزل وهو في طريق عودته الى البيت • انها تسمع وقع أقدامه وهي تصفع الرصيف الاسمنتي ومن ثم وهي تقرع الممر الضيق أمام المنزل الأحمر الجديد •

هذا البيت التي اعتادت وهي طفلة أن تلعب فيه مع أطفال الناس الآخرين• ثم جـاء رجل من بلفاست وابتاع الأرض وبنى عليها بيوتاً سقوفها كسقوف بيتها ، أو سقوف بيوت الجيران ، سقوف صغيرة سمراء اللون • كانت البيوت الجديدة لامعة الحجارة مشرقة السقوف •

لقد اعتاد الأطفال أن يلعبوا في تلك الأرض سوية ، أولاد ريفز ، واترز ، دونز ، والصغير كوف كان يحبو • وكانت واخوتها وشقيقاتها يلعبون ، غـير

أن أخاها ارنست لم يكن يلعب معهم قط لأنه كان كبيراً . واعتاد والدها مراراً أن يطردهم من ساحة اللعب بعصاه السوداء الشائكة ، ولكن الصغير كيوغ اعتاد أن يحذرهم صارخاً عندما يرى والدها قادماً . ويبدو لها الآن أنهم ربما كانوا أكثر سعادة ، ذلك أن والدها لم يكن سيئاً جداً حينذاك ، اضافة الى أن أمها كانت على قيد الحياة . لقد مضى زمن طويل على تلك الأحداث وها هي ذي واخوتها وشقيقاتها قد كبروا وماتت أمها . تيزي دون ماتت أيضاً ، وعائلة واترز عادت الى انكلترا . كل شيء تبدل . وهي الآن تنوي الرحيل كالآخرين ، تنوي مغادرة منزلها .

المنزل ! وتطلعت حولها في الغرفة ، ومسحت بنظرها كل أشيائها المألوفة التي طالها الغبار خلال أسبوع وتبدو الآن وكأنها مهملة منذ سنين عديدة . وتعجبت من أين يأتي كل هذا الغبار ومن أية بقعة من الأرض . ومن المحتمل أنها لن ترى أبداً هذه الأغراض المألوفة والتي ما كانت تحلم بمفارقتها . وعلى الرغم من مرور تلك السنوات الطويلة فانها لم تعثر على اسم الكاهن الذي تتدلى صورته الصفراء فوق الأرغن المكسور بجانب الادعية المطبوعة والملونة ارضاء للقديسة مرغريت ماري آلاكوكيو .

لقد كان زميل مدرسة لوالدها . وعندما كان والدها يري الصورة للزائر اعتاد أن يمر من أمامها وهو يقول بلا مبالاة :

ـ انه في ملبورن الآن .

لقد صممت على المضي بعيداً . أن تغادر منزلها .

هـل ذلك القـرار حكيم ؟ لقـد حاولت أن تزن كل جانب من هـذا السؤال . انهـا في بيتها ، وبأية حال تجـد الملجأ والطعام ، كما انها تجـد بجانبها كل أولئك الذين عرفتهم طوال حياتها . من الطبيعي أنها بذلت جهـداً كبيراً سواء في البيت أو في العمل . وما عساهم يقولون عنها في المخازن عندما يكتشفون أنها فرت مع رجل ؟ هل يقولون أنها حمقاء ، ربما ، وسيملىء مكانها عبر الاعلانات . وسوف تكون الآنسة غافان سعيدة . فقد كانت دائماً تضع حاجزاً بينهما وخاصة عندما كان يوجد أناس يستمعون لحديثهما .

ـ آنسة هـل ألا ترين هـؤلاء السيدات المنتظرات ؟

ـ كـوني نشيطة ، آنسة ، هـل ، رجـاء .

انها لن تذرف دموعاً كثيرة بسبب فراقها للمخزن . ولكنها في منزلهـا الجديد وفي بلد بعيد غير معروفة فيه فانها لن تكون كما كانت . وعندئذ فانها سوف تتزوج . هي ايفلين . وسوف يعاملها الناس بعدئذٍ باحترام . لـن تعامل كما عوملت أمها . ولو أنهـا الآن بلغت التاسعة عشرة من عمرها . انها تشعر أحياناً أنها في خطر بسبب عنف والدها . وعرفت أن هذا الخوف هـو سبب بلبلتها ، عندما كانت واخوتها أطفالاً صغاراً لم يكن أبوها متيماً بهـا كما كان عادة مع شقيقيها هاري وأرنست . لأنها كانت فتاة . ولكنه في المـدة الأخيرة بدأ يهددها ويقول لها أن ما يفعله لها هو من أجل أمها المتوفاة . والآن فإنه لا يوجد أي انسان يحميها . فلقد توفي أرنست ، وهاري الذي كان يشتغل بزخرفة الكنيسة دائماً وبشكل تقريبي متغيب في مكان ما في البـلد . أضف

الى ذلك المشاحنات من أجـل النقود في ليالي السبت ، تلك المشاحنات التي ترهقها بصورة لا تطـاق •

انها تقـدم دائماً أجورها كاملة (سبع شلنات) وهاري يرسل ما يقـدر ولكن المشكلة كانت مشكلة تحصيل أي مبلـغ من النقود من والدها الذي كان يقول انها تصرف النقود ، وأنها بلا دماغ وأنه لن يعطيها ما يحصله بصعوبة ليرمى في الطرقات ، ويقول أكثر من ذلك ، فقـد اعتاد أن يكون سيئاً ليـلة السبت • ولكنه في النهاية يعطيها النقود ويسألها عما اذا كانت تنوي شـراء غـداء يوم الأحـد •

وكانت تنطلق مندفعة بأقصى ما تستطيع من السرعة من أجل التسوق • قابضة بشدة على كيسها الجلدي الأسود وهي تشق طريقها وسط الزحـام وتعود الى المنزل في وقت متأخر وهي تنوء بحمل مشترياتها ، انها تعمل بجهد كبـير من أجل الابقاء على البيت متماسكاً ومن أجل أن ترى الطفلين الصغيرين اللذين تركا بعهدتهـا وهما يذهبان الى المدرسة باتنظـام وينالان وجباتهما باتنظام • لقـد كان عملاً شاقاً • ، حياة شاقة • ولكنها الآن وهي على وشـك الرحيل لم تعد تشعر بأنها حيـاة غير مرغوب فيها البتة •

انها توشك أن تبدأ حياة جديدة مع فرانك • وهو رجل بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى • لطيف وشهم وصادق • وقد قررت الفرار معـه على السفينة الراحلة ليلاً لتكون زوجته وتعيش معه في بونيس آيرس حيث بيته هناك باتنظارها • انها تتذكر جيداً لقاءها معـه للمرة الاولى ، كان مستأجراً في بيت على الشارع الرئيسي وكانت تتردد على ساكني ذلك البيت • يبـدو

الأمر الآن وكأنه حدث منذ أسابيع قليلة • كان واقفا على الباب الرئيسي وقبعته مرفوعة الى الخلف وشعره تهدل على جبينه الأسمر حينذاك تعارفا ، وتعود أن يراها خارج المخازن كل مساء فيرافقها الى منزلها • ومرة ذهبت معه الى المسرح لمشاهدة « الفتاة البوهيمية » وشعرت بالزهو لأنها تجلس معه في مكان غير عادي • كان مغرماً بالموسيقى وقد غنى لهـا •

وعرف الناس أنهما يحبان أحدهما الآخر • وعندما غنى عن الفتاة التي تحب بحاراً شعرت بارتباك لذيذ في بادىء الأمر •

كان شيئاً مثيراً أن يكون لها صديق ، ثم بدأت تميل اليه ، ثم أخذ يحكي لها بعض الحكايا عن الأقطار البعيدة وكيف بدأ حياته كطفل يعمل بأجرة ليرة واحدة في الشهر على ظهر سفينة تسافر الى كندا • وردد أمامها اسم السفن ، وحكى لها عن جميع الأعمال التي عمل بها في تلك السفن ، وكيف مر من مضيق ماجلان • وكانت لديه قصص مخيفة عن الأناس الذين شاهدهم • وحكى لها عن مرضه في بونيس آيرس وكيف جاء في اجازة الى وطنه الأم • ولقد عرف والدها بما بينهما فحرّم عليها محادثته وقال لها ذات مرة :

« أنا أعرف هؤلاء الصبية • البحارة » •

وتشاجر مع فرانك ولكنها استمرت في مقابلته سراً •

خيم المساء على المنطقة • في حجرها رسالتان احداهما لهاري والثانية لوالدها • كان ايرنست أخاها الأكبر ولكنها تحب هاري أيضا • لقد لاحظت

في الفترة الأخيرة أن والدها بدأ يهـرم وأنه سوف يفتقدها • وكان عليه أن يكون لطيفا جـداًمعها • وقد حدث هذا فعلاً ولكن ليس قبل مدة طويلة • وعندما مرضت يوماً قرأ لهـا قصة عن الاشباح وحمّر لها بعض الخبز عـلى النار ، ومرة قبل وفاة والدتهم قاموا بنزهة الى (تل هون) ومن أجل اضحاكهم كان والدهـا يعتمر قبعـة أمهم •

كان الوقت يمر سريعاً وهي جالسة على النافذة وقد أمالت رأسها على الستائر لتشم رائحة القماش المترب فسمعت صوت أرغن في الطريق • انهـا تعرف ذلك النغم • عجيب أن تسمع هـذا النغم في هـذا المساء بالذات • هـذا النغم أخذ يذكّرها بالعهد الذي قطعته لأمها بأن تعمـل ما في امكانها لتحفظ للبيت تماسكه • وتذكرت الليلة الأخيرة من مرض أمها • كانت الغرفة مظلمة وفي الجانب الثاني من الردهة عندما سمعت لحناً ايطالياً حزيناً • وأعطوا العازف على الأرغن ستة بنسات من أجـل أن يكف عن العزف والابتعـاد • وتذكرت والدها عندما عاد ثملاً ودخل الى غرفة أمهاالمريضة وهـو يقـول :

« الايطاليون الملعونون • لقد عـادوا الى هنـا » •

وغرقت في بحر من التفكير وصورة أمها ، ذلك الطيف المسكين الجاثم في صميمها • صورة مليئـة بالتضحيات العادية التي ملأت حيـاة أمهـا •• وتذكرت صوت أمها الذي كان يلحّ عليهـا بجنون •

وقفت بدافع مفاجيء من الخوف • هـل تهرب ؟ يجب أن تهـرب • سينقذها فرانك • وربما سيمنحها حيـاة مليئة بالحب • فلماذا كتب عليهـا الشقاء ؟ انها تملك الحـق بالسعادة • سيأخذها فرانك بين ذراعيه ، سيطويها

بين ذراعيه وسوف ينقذها • وقفت بين الجموع المحتشدة في محطة (نورث هول) أمسك بيدها ، وأدركت أنه يتحدث اليها حول سفرهما • كانت المحطة ملأى بالجنود الذين يحملون حقائبهم المعتمة ، ومن خـلال أبواب السفينة استطاعت أن تلمح صاري السفينة السوداء الراسية قرب جدار الميناء بنوافذها الصغيرة والمضيئة • لم تجب بشيء وشعرب أن خديها شاحبان وباردان وفي حيرة يائسة صلت لله كي يهديها ويأخذ بيدها الى ما يجب أن تفعل •

وبعد قليل صفـّرت السفينة صفرة طويلة كنواح في الضباب • وأخذت تراودها بعض الأفكار • إن هي ذهبت فستكون غـداً في البحر مـع فرانك متوجهة الى بيونس ايرس لأنه قطع تذكرة لهما • أيمكن أن تنسحب بعـد كل الذي عمله من أجلها ؟ وشعرت بالغثيان وهي تحرك شفتيها بصلاة حارة •

وكأن ناقوساً بدأ يرن في قلبها حين أحست به ممسكاً بيديها : تعالي ! كل بحور الدنيا ماجت حول عنقها • كان يسحبها الى تلك البحار • لسوف يغرقهـا • وأمسكت بيديها وبكل ما فيهما من قوة بسور حديدي •

ـ« تعـالي ! »

لا • لا • انـه المستحيل • وأمسكت بسور السياج الحديدي بجنون وهي تطلق صرخة ألم واضحة •

ـ ايفلين ! ايفلين !

وأمسك بها ودعاها للحاق به •• وصرخوا به أن يصعد • استمر يناديها ولكنها واجهته بوجه شاحب ، جامد ، كحيوان مغلوب على أمره ، وعيناهـا لا تعبران عن حب له ، أو وداع ، أو حتى معرفـة •

الأرملة

• قصة : أرفيند جوكيل
• ترجمة : صالح سلمان

«ارفيند جوكيل » واحد من رواد القصة الحديثة الصغيرة الماراتاوية (١) ظـل يكتب لمدة من الزمن تتجاوز العقد حيث نشر اثناء هذه الفترة الزمنية اثنتاعشرة مجموعة من قصصه القصيرة . وهو كاتب واقعي له قدرة على وصف الظلال الدقيقة للوجدان . وبحكم وظيفته كعالم نباتي فقد درس جوكيل الصحافة التقنية في جامعة وسكنس في الولايات المتحدة الأمريكية . انه يمتلك ايمانا كبيرا بالقصة القصيرة ويسيطر على عالم كبير من القراء .

تماماً كشجرة هرمة تطلع أحياناً الجديد من الأوراق الغضة ، كان عقل (إيرواتي) المخدر قد بدأ يصحو من ذهوله . وكان يتضح لها ادراك بطيء هو ان من الخطأ أن تمنح نفسها للندب طيلة الوقت، وأن تطوف في وضع جسماني غير مقبول . ليس هناك من فائدة في نكران حقيقة أن الجراح التي تركتها مأساتها الجليلة سوف لن تشفى أبداً بشكل تام . لقد تحولت أحلامها الفتية الى حطام . غير أن عقلها الذي صحـا مؤخرا أخذ يتحدى حكمة الحياة بحالة متواصلة مـن الاستسلام . هل كان من الضروري أن ترتدي ثياب اللامبالاة والحزن السوداء طيلة الوقت ؟ ما الذي سيحققه ذلك ؟ لقد أراد جناحاها الجريحان أن يطيرا من جديد .

---

(١) منسوبة الى الشعب الهندي الذي يسكن في الركن الغربي واقليم بومباي .

ما بدأت تراه إيرواتي مؤخرا فقط كانت قد تحققت منه عمتها منـذ زمن طويل . لقد تيتمت ايرواتي في سن مبكرة ومنذئذ وعمتها تحاول أن تعوض فقدانها لحب والديها . كان ذلك منذ سنتين فقط عندما بدأت إيرواتي وظيفتها كطبيبـة وكانت حقاً على طريق النجاح خلال تلك الفترة . فعندما كانت في الكلّية قدمت إيرواتي قلبها هدية لـ « اڤيناش » زميل الدراسة . كان افيناش ينحدر من عائلة فقيرة لكنه قرر ان يصبـح طبيباً . وبسبب تلك الغايـة عرض نفسه لبعض انديون .

تعاهد الاثنان على الزواج بعد انهاء الدراسة . ورغم انـه لم يقـدم الفتاة لعائلته ، فان اڤيناش لم يكن يتوقع اية معارضة جدية على الزواج . لكن عندما جاءت المعارضة فقد كانت من جهة غير متوقعة مطلقاً . من سلطة لا يمكن ان يحرز نصر ضدها . كان اڤيناش يمضي سنته الأخيرة في الكلية عندما حدثت المأساة . ان حادثاً أوقف جسده الفتي الى الأبد .

بعد موت اڤيناش عاشت ايرواتي بالجسد فقط أما روحها فقد تناثرت إرباً . لقد كان جزء حيوي من الفتاة قد تناثر رماداً على المحرقة الجنائزية لزوج المستقبل . لم تكن تقبل أحاسيسها المنصعقة بعد ذلك أية مثيرات . عاشت مستقلة ومنفصلة عن الآخرين كأرملة تؤدي واجباتها فقط . وقد أصبح هـــذا مصدراً دائماً للحزن بالنسبة الى عمتها العجوز . فهي لم تطر ذلك بالموافقة . وعمتها نفسها كانت قد ترملت عندما كانت فتية جداً ولكنها تحملت ذلك بشجاعة طيلة هذه السنوات !

لم تكن ايرواتي قد تزوجت من اڤيناش ! انها فتية ينتظرها مستقبل باهـر بذراعين مرحبتين . كانت عمتها تتطلع بأمل الى ذلك اليوم الذي ستتخلى فيه

ابنة أخيها عن حياتها كراهبة وتبدأ في حب الحياة كما يجب أن يفعل الناشئة في الواقع .

ربما استجابة لصلوات السيدة العجوز ، أو بسبب الزمن الشافي اصبحت أبرواتي مؤخرا تذرف في أغلب الأحيان دموعاً اقل مما كانت تفعل في الماضي . إن هذا لا يعني انها نسيت أفيناش . فقد قابلته تحت مظلية(٢) قبل الحادث بيوم واحد فقط . وكسائر العشاق تحدثا وخططا لمستقبلهما . كانت تحمل ضمن طيات ثوبها شذى العطر الذي صبه أفيناش بأدب عليها في مناسبة سابقة . وقتها ضمها بذراعيه مستنشقاً العطر مرة بعد مرة . ثم افترقا بعد ذلك على أن يلتقيا في اليوم التالي . ان ذكرى ذلك اليوم تملأ الآن إيرواتي بحماسة مفعمة بالنشاط كما لو كان الغد الذي ستقابل فيه عشيقها مرة ثانية مايزال آتياً .

وفي أوقات أخرى كانت تحس ان ذلك الزمن سافر الى مسافة بعيدة بعد الحادث المأسوي . انها ستفقد احتكاكها بالماضي وستحدق في صورة أفيناش بدون اية عاطفة ايجابية . لقد أرعبتها حالة عقلها الغريبة واللامبالية . فهي لذلك سوف تزج نفسها في العمل على نحو أعمق .

ان مهنتها ومتطلبات المجتمع اذاً لا تسمح لها بالبقاء في تلك الحالة مدة طويلة . فقد اجبرت على الإهتمام بالحياة عندما قدم لها مريض مقر بالجميل سلة من الفاكهة او تطلبت حالتها هذه رفاهية مادية معينة لتناسب مركزها بسبب الازدياد المستمر لزبائنها ــ مثلاً طقم شاي جديد . فمنزلها الحالي بدا صغيراً جداً بالنسبة الى حاجياتها في ذلك الحين . وكانت عمتها تعترض بقوة

(٢) المظلية ، المغنولية المظلية نوع من النبات كبير كالشجر (المورد) .

عنى تنقلها بالجزكشة(٣) وخاصة في الدعوات الليلية . كان يجب أن نشتري سيارة في الحال وكان من الممكن أن تفعل ذلك خلال سنوات قليلة .

غير أن ايرواتي كانت تشعر بالإجرام كلما حاولت أن تهتم بالحياة إهتماماً مفعماً بالنشاط . هل نسيت أفيناش ؟ هل أصبحت خائنة لذكراه ؟ هل هي ذات عتل متقلب ؟ هل كان من الخطأ أن تهتم بالحياة وقد قضى نحبه ؟ كانت ايرواتي تصبح سيئة الطبع ، حتى تجاه زملائها ، كلما هاجمتها هذه الأفكار وكانت تستشير عمتها حين لا يمكنها أن تتجنب الدعوة الاجتماعية .

« عمتي ، أتظنين انه يجب أن أقوم بوظيفة أو واجب هـذا المساء ؟ » وتسرع عمتها لتؤكد لها : « لماذا ، بالطبع أيتها الطفلة . لماذا يجب أن تفكري بأية شكوك سخيفة ؟ في الواقع سيكون من الخطأ إن لم تذهبي . ويجب عليك أن ترتدي ثوباً أفضل . فهذا قد لا يلائم المناسبة . »

لقد طمأنتها كلمات عمتها المشجعة فاستبدلت ثوبها بآخر لأجـل المناسبة الخاصة . وكانت ذات مرة خارج البيت فلم تجد متسعاً من الوقت لتكرم وفادة مزيد من الشكوك . إن حديثاً قصيراً مع امرأة كانت قد ولّدتها منذ وقت مضى وحديثاً مع زميل لها شغلاها فعادت الى المنزل والفرحة تغمر قلبها . غير أن شكاً حديث العهد طفق بها عندما عادت الى غرفتها ذات مرة . وفطنت ذات يوم على نحو مفاجيء أن من الحماقة أن تحيا حياة محزنة .

« يجب أن يذكر أفيناش بابتسامة وليس بدمعة . » قالت لنفسها . إن نفحة من العطر المألوف فاجأت ذاكرة إيرواتي بعنف عندما فتحت حقيبة ملابسها

---

(٣) الجزكشة : كلمة يابانية تعنى عربة صغيرة بدولابين تتسع لشخص واحد عادة ويجرها رجل واحد ــ تستعمل بكثرة في اليابان . (المورد)

فدست كفها بين كومة الملابس واخرجت قارورة من الجون(٤) .

كان أڤيناش مغرماً جدا بالعطور ، لكنه لم يتمكن من شراء رزمة من عيدان البخور ولا مجموعة من الازهار . ذلك هو السبب الذي جعلها تقدم اليه زجاجة من الجون . لقد أفرغ محتويات القارورة كلها على ثوبها فكان العبير الدائم لهذا العطر بالذات الذي صبه بتوق ما بعده توق في ذلك النهار من لقائهما الأخير . وضعت القارورة الفارغة في حقيبة يدها بطريقة غير واعية والتي تحولت بعد موت أڤيناش الى ممتلك نفيس ، فحفظتها ايرواتي تحت طيات الملابس برفق وعناية . حملت ايرواتي بحنان القارورة الفارغة بيدها ثانية وقد اعادتها الذاكرة الى ذراعي عشيقها الميت فأطبقت عينيها وابتسمت بارتياح . شعرت بالبهجة فنهضت فجأة لتعيد القارورة الى طيات الثوب وتستبدل ثوبها بآخر جديد . التقطت حقيبة يدها وغادرت البيت وهي تصرخ : « عمتي إنني ذاهبة » .

كان قلب ايرواتي التي خطت الى داخل الجزكشة خلياً وسعيداً جداً . فمن واجبها أن تلبي دعوات مهنية قليلة ولكنها قررت أن تفعل ذلك فيما بعد . لم تشعر منذ وفاة أڤيناش مرة على الأقل بمثل ما تحس به اليوم من أمل وفرح يغمران قلبها . فقد شاهدت انعكاس مزاجها السعيد في الإنسانية التي تنشط من حولها .

ولأول مرة بعد عامين تفتح عينيها على العالم من حولها . إن صف النوافذ المعروضة للعيان بتأنق مفرط جذب اهتمامها . الشوارع النابضة بالحياة اثارتها . كما أن منظراً لعدد من النساء الحاملات أرضى عقلها المهني .

ترجلت من الجزكشة بحركة مفاجئة ولحقت بالحشد . ارادت أن تشتري

---

(٤) الجون : نوع من العطور .

كل شيء لكنها سيطرت على رغبتها بصعوبة . وقرب سوق النجارة انعطفت نحو اليسار حيث وقعت عيناها على شيء ما حولها الى تمثال . كان ذلك شكل رجل عجوز تغطي جسده المعروق كتلة من التجاعيد وذقنه لحية غير مكترثة بالنمو . أما ثيابه الممزقة فقد رقعت في أكثر من مكان . وبيد معروقة تعوزها نبضة الحياة كان يحمل باقة من خضر كثيرة الأوراق ويسير بخطوات متعثرة . لقد عرفت إرواتي الرجل . كان والد أڤيناش ! وكان حماها . لم ير الرجل الصدمة والألم على وجه إيرواتي ، حتى ولو انه فعل فلم يكن ذلك يمثل اي شيء بالنسبة اليه على الإطلاق لأنه لم يسبق له أن قابلها ، وحتى هي لم تكن تعرفه إلا بالنظر .

شخصت عيناها إليه وتبعتاه حتى اختفى من مجاليهما . بعد ذلك عادت الى وعيها ببطء . غير أن قدميها لم يحسا بالإستقرار على الأرض . دخلت الحانوت الأكثر قرباً ولكن من غير أن تنظر إلى الخلف مرة ثانية كما لو كانت نتوقع أن الرجل العجوز في اثرها تماماً . إن الحماسة التي انطلقت بها من البيت قد تخلت عنها . غير أنه كان عليها أن تقول للتاجر شيئاً ما . وهكذا قالت على نحو آلي :

« أرني بعض العطور من فضلك . »

علبة جذابة من الزجاج بصف من القارورات وضعت أمامها . نظرت إليها وقالت :

« أرني (جون) أريد الجون فقط » .

« آسف أيتها السيدة ، فالسوق لا يوجد فيه جون ولكن عندي عطر آخر يشابه الجون تقريباً ــ وحتى أفضل من « الجون » .

ما فهمته أن الجون ــ وهو عطر أڤيناش المفضل ــ مفقود من السوق . حالة من الحزن هاجمتها .

وسعياً لا رضائها أمسك البائع قارورة بعد قارورة من العطور . وفي الحال ضاع الجون من ذاكرتها تماماً في مزيج من الشذى والعبير . وبألـــم صامت صرخت : « أفي ، أڤيناش ، أين أنت ؟ » .

من غير رغبة ولا مقاومة اشترت ايرواتي عطـــراً من نوع آخر . إلـــى أي مكان يجب أن تذهب الآن ؟ بعد ذلك استولت عليها فكرة . لماذا كـــان يجب عليها الا تزور الرجل العجوز ؟ لم يأخذها أڤيناش إلى بيته مطلقاً . كان خجلاً من فقره ولكنها كانت تعرف شقته المؤلفة من غرفتين بالنظر . لم يسبق لها أن قابلت أهله شخصياً رغم أنها شاهدتهم في المستشفى حول جســـده المسجى . وفجأة أحست بدافع قوي بالذهاب إلى الرجل العجوز لتلمس قدميه والتوسل اليه كي يباركها .

ولكن عندما وصلت في الحقيقة إلى البيت الكائن في مركز مكتظ خانتهـــا شجاعتها . وبنظرة فشل طلبت إلى قائد الجزكشة أن يقفل عائداً ... وقرب باب البيت صادفت عمتها :

« أين كنت أيتها الطفلة ؟ » سألت المرأة العجوز برفق . أشاحت إرواتي بنظرها وقالت :

« أوه ، كنت أشتري بعض الأشياء للتزيين ولكني اشتريت فقط هـــذه التنينة من العطر .

لم تحاول عمتها أن تخفي دهشتها . ماذا حدث لابنة أخيها ؟ هل ارتدت أفخر ملابسها وذهبت لتشتري هذا الشيء الوحيد فقط ؟ لقد تبعت إيرواتي الى غرفتها . ألقت إيرواتي نفسها على السرير مهملة زجاجة العطر التي كانت ملقاة الى جانبها . التقطتها عمتها وأفرغت محتوياتها .

« ألم تحضري زجاجة فارغة كهذه ؟ » سألت .

« نعم إنها تسمى جون . لقد أهديتها الى أڤيناش » .

« الذلك اشتريت هذه الزجاجة ؟ أوه يا إيرواتي الى اي مدى ستعيشين في عالم الذكريات ؟ » قالت عمتها وهي تعيد القارورة الى السرير .

« عمتي » قالت إيرواتي بانفعال « هذا ما أفعله منذ فترة طويلة ! لقد نسيت حتى واجباتي الأخرى .. انت تعرفين اني شاهدت اليوم والده . لقد بدا عجوزاً متعباً جداً ومهزوماً . عمتي ، عمتي كيف يمكن لأهل أڤي ان يتدبروا امرهم بعد موته ؟ أوه إنهم أهلي مذ كانوا أهله . ومع ذلك يا لي من أنانية حين لا أفكر الا بحزني فقط ! » تدحرجت عبرات كبيرة فوق الوسادة وهي تقول هذا .

إن رجفة غير مقصودة من يدها سفحت محتويات الزجاجة الجديدة فوق السرير فضاع العطر في أرجاء الغرفة على نحو خاطف . وعلى أجنحة الذاكرة عادت إيرواتي الى المستشفى حيث كان يتمدد جسد أڤيناش على طاولة في احدى الغرف . وحوله شاهدت أهله يندبون ويبكون ...

اختفت رائحة العطر الجديد بعد برهة وجيزة من الزمن . وعلى أية حال لم تفكر ايرواتي الآن بأڤيناش ولا بالجون . ولدى رؤية الرجل العجوز في ذلك النهار شرعت ايرواتي تستعيد ردود فعلها على موت أڤيناش هل كانت خسارتها فادحة جداً في الواقع ؟ فهي تملك وظيفتها وحياة هادئة ولكن أهلـــه الفقراء المحرومين من إعالتهم الوحيدة قد اكرهوا على أن يكفكفوا دموع حزنهم حتـــى قبل أن يتحول جسده الى رماد ! وماذا فعلت من أجلهم ؟

بتأثير العادةكانت إيرواتي تولي العناية لحاجيات المرضى المختلفة ولكن عقلها

أصبح الآن مشغولاً ليلا ونهاراً بعائلة أڤيناش : الأب المرهق ، الأم المربوءة(٥) ، أخته وأخوه الصغيران .

واكتشفت ذات مرة بعد عودتها من إحدى الزيارات ان الجزكشة كانت تمر من قرب بيت أڤيناش فخاضت من جديد تجربة . باعث قوي يدفعها لزيارة أهله . الم تكن مشدودة إلى أڤيناش على نحو روحي ؟ وهم ، الم يكونوا بعد ذلك أهلها ؟

« توقف من فضلك يا قائد الجزكشة ! » قالت بسرعة . وبحركة توقفت الأداة . ولكنها عندما حاولت أن تترجل أمسكها الخوف ثانية وأصبحت ساقاها ثقيلتين كالرصاص . لا ، لا يمكنها ان تفعل ذلك . ماذا تمثل الآن بالنسبة إليهم ؟

التفت قائد الجزكشة بغرابة من على كتفه إلى الوراء . تراجعت هابطة فوق مقعدها ثم أطبقت عينيها . وبصوت خافت طلبت إلى السائق أن يغير وجهة سيره .

كان المساء قد تأخر عندما رجعت إلى البيت منهوكة القوى تماماً . « لا » فكرت هي « لا يمكنني ثانية أن أستمر هكذا دائماً وإلى الأبد . يجب ان أبعد أهله عن ذهني . فمن أنا لأتحدى قرار الله حين قضى بكل شيء ! » شعرت بتحسن بعد ذلك ، حيث أن فنجاناً من البن الساخن المرفق باهتمام عمتها الراشح بالحب سما بروحها إلى الأعلى .

التزمت بقرارها مدة أسبوع كامل . زجت نفسها بالعمل اكثر فأكثر . ولكن تجربتها لم تنته بعد . فعندما شاهدت الرجل العجوز ثانية كانت تنتظر عند

---

(٥) المصابة بمرض الربو .

موقف الباص بعد مؤتمر طبي علـّها ترى جزكشة . لقد كان في الباص الـذي توقف عند الموقف . ولدى رؤيته ، كما لو كانت منجذبة الى مغناطيس ، ركبت متن الباص .

وجدت مقعداً مقابل مقعده . لقد كان بصعوبة يوازن في حضنه آلة قديمة للكتابة . كل خيط من ثيابه البالية كان يعلن عن فقره بصوت مرتفع . اعترت جسدها رعشة حين لاحظت التشابة الغريب بين الرجل والابن الميت على الرغم من الوجه المتغضن . تجمعت كتلة في حنجرتهـا ، فأصبحت يداهـا باردتين ورطبتين .

دسّ الرجل العجوز كفاً معروقة في إحدى جيوبه واخرج قطعة نقد معدنية من فئة الاربع أنات(٦) ليعطيها الى قاطع التذاكر . نظر قاطع التذاكر الى القطعة النقدية ، قلبها راساً على عقب وهز راسه :

« إن هذه لا تكفي »

صعّد والد أفيناش نظرة الى الرجل بوجه مهموم :

« الا تكفي ؟ ولكن هذا كل ما أملك . لذلك كان علي أن أجتاز موقفين مشياً قبل أن أتمكن من ركوب الباص . »

كانت إيرواتي تراقب الموقف بقلق متزايد وقد أقلقها الفضول الرهيب للركاب الآخرين . فدست كفها داخل حقيبة يدها ولكنها تجمدت في المكان . ماذا لـو اعتبرها الرجل العجوز إهانة !

اخذ المسافر الذي كان يشغل المقعد المجاور القطعة المعدنية النقدية من كف قاطع التذاكر . نظر اليها وقال بلهجة خبير :

---

(٦) أنات : ج انة : وحدة النقد السابقة في بورمة والهند والباكستان وتساوي ١/١٦ من الروبية .

« لا شيء مخالف للمألوف في القطعة . الق نظرة أخرى . »

بعد هذا لم يبد قاطع التذاكر اي اعتراض آخر . فأطلقت إيرواتي تنهيدة ارتياح .

التفت الجار البدين إلى والد أڤيناش بابتسامة ودية .

« اليست تلك آلة كاتبة . » لم يكن هناك حرارة كبيرة في الإجابة .

« وهل ترغب في بيعها ؟ »

« لا ، لقد استعرتها لمدة أيام قليلة . »

« لأجل ولدك ؟ »

أصاب السؤال إيرواتي في تجويف معدتها ، فحبست نفسها عندما قال الرجل العجوز : « لا ، من أجلي . »

وعند موقف الباص الثاني خرج الأب المسن بسرعة . أرادت إيرواتي أن تتبعه حتى يصل الى بيته سالماً . وفجأة بدت الرحلة مملة جداً بالنسبة إليها فخرجت من الباص بعد موقف واحد . قرارها الأخير أن تنسى الماضي وتبعد عن ذهنها أڤيناش وأهله انهار تحت توتر تلك الحادثة التي حدثت ذلك الأصيل . كان عليها أن تعمل شيئاً من أجل عائلة أڤي . كان عليها أن تساعدهم بطريقة او بأخرى .

بتوجيه من الحافز قاطعت عمتها ذات مرة في عملها الديني وقالت : « عمتي ، ضعي كتابك المقدس جانباً واعطيني بعض المال . يجب أن أساعد عائلة أڤي . »

رفعت المراة العجوز عينيها باحتجاج صامت ولكنها أعطت إيرواتي دفتر شيكاتها . وعلى كل حال لم تتطور المشكلة اكثر من ذلك ، فكيف يتسنى لها أن

ترسل المال ! لقد أخبرها أڤيناش أن والده عزيزالنفس ولا تصعب إثارته . وكان يضاعف من آلامها عجزها عن تقديم المساعدة .

لم تكن تعلم فيما إذا كانت ستبتهج أو تحزن عندما طلب اليها أن تلتزم بقضية قريبة من بيت أڤيناش . كانت مريضتها الجديدة زوجة سمان وكانت تحتاج إلى زيارات متكررة . وفي الصباح المبكر من اليوم التالي عندما غادرت البيت لتمر بالمرأة تساءلت فيما اذا كانت ستلتقي نظرة خاطفة على أهل أڤيناش . شرع جنانها يتأمل إمكانية لقاء من هذا النوع .

تشبثت إيرواتي بحقيبتها الطبية على نحو عصبي عندما اقتربت من المكان نظرت الى الشقة ذات الغرفتين في البناية القديمة عندما خطت نحو بيت السمان أخطأ السمان في تفسير سبب تحديقها فقال وهو مندفع نحوها لاستقبالها :

« لا أيتها السيدة . ليس الطريق من هناك . اتبعيني من فضلك . » التفتت إيرواتي بمضض الى السمان وانصاعت لطلبه . وعلى سلّم خشبي شديد الانحدار وصلت الى غرفة المريضة التي كانت مضاءة على نحو رديء مثلها في ذلك مثل جميع البيوت الكائنة في الأمكنة المكتظة عادة .

فحصت المريضة وقدمت التوجيهات الضرورية ونزلت . تبعها السمان حتى وصلت الى الجزكشة وبصعوبة سيطرت على رغبتها في إلقاء نظرة أخرى على الشقة ذات الغرفتين .

مرة أخر تملك أڤيناش وأهله ذهنها تملكاً تاماً . وفي كل زيارة للسمان كانت تجد طرقاً مختلفة لمراقبة البيت المقابل . فقد كانت تخرج الى الشرفة في بعض الأحيان لتقرأ ميزان الحرارة . وأحياناً أخرى كانت تجلس في الحانوت من الطابق السفلي لتكتب الوصفة الطبية .

وذات مرة سمعت القرقعة الخفيفة للآلة الكاتبة . وفي الغرفة نصف المظلمة شاهدت شكلاً هرماً متبعاً كان يعالج المفاتيح على نحو متعب . ومرة ايضاً شاهدت الرجل العجوز مرتدياً مئزراً فقط . لقد بدا وكأنه هيكل عظمي . هذا المنظر اثار إيرواتي على نحو عميق . ومرة أخرى تشابكت اعينهما فشحب لون ايرواتي تماماً ناسية أنه سبق لهما ان تقابلا . وعن طريق الملاحظة المتواصلة المدعومة بالخيال المتوقد ذكاءً أصبحت إيرواتي قادرة في الحال على تصور الحياة داخل تلك الشقة ومن ثغرة في جدار الغرفة تمكنت من رؤية « وضع » البيت ، لقد خصصت زاوية من الغرفة الداخلية لتقوم مقام الحمّام . صوت سعال مربوء فاجأ أذنيها المرهفتين . لقد تمكنت إيرواتي من تخيل المراة المسنة جالسة وظهرها متكىء الى الجدار طلباً للراحة مع أن المراة المسنة لم تخرج إلى الشرفة مطلقاً .

في إحدى المرات شاهدت ايرواتي فتاة صغيرة على الشرفة . « يجب أن تكون ماندا » فكرت إيرواتي . لقد حدثها أڤيناش عن افراد عائلته . « عندي أخت صغيرة » قال لها « إسمها ماندا ، ولكن يجب أن تسمى شاكونتالا . كان لها شعر طويل وافر النماء . » نعم لقد كان للفتاة شعر جميل وافر غزير النمو . ولكن كان من الواضح انه لم يلامس الزيت منذ شهور . كانت الفتاة تحلك جلدة رأسها في بعض الأحيان بطريقة جنونية . « القمل ، يجب أن يكون في شعر الفتاة قمل . » فكرت إيرواتي ملياً .

حدثها أڤيناش ايضاً عن أخته الأخرى : « إيرا ، أختي الأخرى تشبهك كثيراً والى حد بعيد أو يجب ان أقول كانت تشبهك كثيراً وإلى حد بعيد ! مليئة بالنشاط والشجاعة ! لكنها منذ زواجها انقلبت الى فتاة أخرى . انت ترين ، أبي لم يتمكن من الوفاء بشروط المهر بشكل تام ، وكان حموها دائماً يتذرع به ضدها .

فهم يطلبون إلينا بين حين وآخر تعويضاً أو شيئاً آخر. انتظري يا ايرا انتظري ــ عندما أصبح طبيباً سأدفع لهـم كل باية (٧) من المهر وعندئذٍ أطلب إليهـم أن يسكتوا ... أنت تعرفين يا ايـرا أن مرض أمي بالربو قد جعل البيت كلـه تعساً .. أخي الصغير ما كوندا ذكي جداً. ولكن أحداً ليس هنا كي يرشده يا ايرا ويسيطر عليه. انه متورط مع رفاق سيئين جداً .. الفقر يا إيرواتي هو اللعنة العظمى. »

لقد جمعت إيرواتي من جديد كل ما أخبرها به أفيناش عن عائلته وتذكرت ماذا كانت تقول لأفيناش في أغلب الأحيان: « لا تقلق يا أفي. سأساعدك كـي تجابه جميع تعهداتك ومع ذلك فإن مشاكلك هي مشاكلي أيضـاً. » بحيـاء فكرت بعد ذلك: « ذلك ما وعدت به آفي. ولكن في الحقيقة ما الذي فعلتـه من أجلهم، باستثناء إغداق عاطفتي العاجزة الصامتة عليهم! » لماذا لم تأخذ بعض الدواء لوالدته؟ لماذا لم تشتر زجاجة من الزيت لـ ــ ماندا ــ؟ الم يكن بامكانها أن تفي ديونهم؟.

وذات صباح، عندما ترجلت من الجزكشة سمعت السمان يشتم نزلاء البيت ذي الغرفتين بصوت مرتفع. ولدى رؤيتها ابتلع السمان بسرعة المزيـد من فيض الشتائم. وبطريقـة فظـة بعض الشيء سألت السمان: « لـماذا تشتمهم؟ ما هي المشكلة؟ » أجاب السمان مدافعاً:

« ماذا يمكنني أن أفعل لقد تركوا حساباتهم من غير تسديد مدة ثـلاث سنين وما يزال الرجل العجوز يملك الوقاحة ليرسل ابنته بين حين وآخر لغرض أو سواه ... »

لقد سمعت إيرواتي ما يكفي. وبشيء من الحدة قالت للسمان:

---

(٧) الباية: وحدة نقد هندية قديمة.

« رويدك ، لا تقلق على مالك في المستقبل . دعهم يأخذون ما يريدون .أنا المسؤولة من الآن فصاعداً عن دفع حسابهم . وسأدفع ديونهم السابقة أيضاً .

فغر الرجل فمه قائلاً بوجه خجل بعض الشيء : « أعرف أيتها السيدة . إنهم فقراء جداً وقد فقدوا ابنهم الوحيد في حادث ! كان سيصبح طبيباً فيما لوبقيحياً . ولكن الى أي مدى يمكن أن ينتظر الإنسان ؟ أنت ترين أيتها السيدة . فأنــا قد أسمح بأن يموت حقي ولكن ماذا عن حق الإقطاعي وحقوق الآخرين ؟ إن متاعب الرجل العجوز لا تنتهي مطلقاً . فابنتة الكبرى قد جاءت الآن . . . »

شنفت إيرواتي أذنيها للخبر وقالت بلهفة : « أما زالت هنا ؟ بودي لــو أقابلها » .

« لست أدري . لقد جاءت البارحة . إن حماها لطاغية حقيقي . » غادرت ايرواتي السمان بحالة غير عادية من الارتباك عندما تركت مقعدها وخطت نحو البناية . هذه المرة ، من غير تردد ، تسلقت السلم الخشبي وقرعت الباب . احست بأن المنزل هادىء على نحو غريب . أعادت قرع الباب عدة مرات لكنها لم تتلق اية إجابة . . .

أثار التأخير عصبيتها . أحست بأن الخوف يعاودها من جديد . وبعــد ذلك سمعت صوتاً حاداً لصبي يسأل : « من بالباب ؟ » أتبع السؤال بصوت امرأة « لماذا لا تفتح الباب وترى » يجب أن تكون تلك أم أفيناش .

« إنه أنا من فضلك افتح الباب . » كان صوت ايرواتي يرتجف عنــدما أجابت . وأخيراً فتح الولد الصغير ، ماكوندا ، الباب .

« ماذا تريدين ؟ » سألها بوقاحة . جمعت شجاعتها وقالت : « أعتقد أن أختك الكبرى هنا . إنني أرغب . . » غير أن الصبي قاطعها : لا لقد غادرت

هذا الصباح . اذاً فأنت من أقرباء حميها ! ماذا تريدين الآن غير ذلك ؟ لقد أخذت منذ قليل زوجاً من أساور أمي الذهبية ـ حظنا الوحيد والأخير . »

أسرعت إيرواتي لتؤكد له : « لا ، لا ، انني طبيبة . أنا أقدم خدمة مجانية بإشراف النظام الجديد . أخبرت أن أمك تقاسي من مرض الربو . »

« ولكننا لا نحتاج إلى مساعدتك . » وصفق الصبي الباب في وجه ايرواتي. ابتلع الفتاة ظلام مطبق وهي تنزل السلم الخشبي باضطراب .

مرة أخرى مرت إيرواتي غير حافلة بالإهانة بأهل حبيبها الميت . مرة أخرى غير أن حظاً أفضل صادفها هذه المرة . فوالد أفيناش قد استقبلها على الباب . وفي اللحظة الثانية وجدت نفسها داخل البيت . جلست على فراش من العشب . أطرقت وقالت بصوت كان يرتجف من الانفعال :

« أنا إيرواتي . كنت مخطوبة لولدك أملاً بالزواج . » انتظرت اجابة ما ولكن شيئاً من هذا لم يحصل . حاولت مرة أخرى :

« أراد أن يفضي بمكنون صدره لكم بعد الإمتحان الأخير .. لم نتمكن من الزواج ، ولكن ... » وبعد ذلك أخبرتهم بكل ما يمكن أن يقال بجمل متقطعة . لم يسبق لها أن كانت في حياتها متواضعة وجادة ومتلهفة إلى هذا الحد .

« أريد أن أساعدكم » قالت هي « إن مسؤولياته أصبحت الآن مسؤولياتي . أعرف صعوباتكم ومشاكلكم . دعوني أخفف حملكم من فضلكم . »

« دعينا نأخذ الف روبية إذن . » قالها الصبي بلهجة ساخرة . غير أن الرجل العجوز أسكته بنظرة غاضبة . ثم قال لإيرواتي :

« هل أنت الفتاة التي أغمي عليها في المستشفى عند رؤية جسده ؟ »

« نعم . نعم إنني الفتاة نفسها . لقد أصبحت مريضة جداً بعد ذلك . أنت ترى ، كانت الصدمة قاسية جداً بالنسبة إلي . في الواقع كان يجب علي أن أمر بكم قبل هذا الأوان بكثير . » في هذه اللحظة غصت بالدموع تقريباً . لقد أخطأت في فهم فضول الرجل العجوز لتعاطفها . كانت المرأة العجـوز تجلس مقابل الجدار من غير أن تفتح عينيها ولو مرة واحدة كما لو كانت تمثالاً تماماً . بعد ذلك قال الرجل العجوز لإيرواتي : « من الخير أنك لم تأتي قبل هـذا الأوان بكثير . كان يجب ألا تأتي حتى في هذا الوقت . أنت لست متزوجة منه ، أليس كذلك ؟ ذلك حسن . أنت شخص حر إذن . ولسوء الحظ يجب علينا ــ نحن والديه ــ أن ندفع الثمن . »

« ولكن في أعماق قلبي ، أنا ... » لـم تستطع إيرواتي أن تتم الجملـة لأن والداقي قاطعها :

« لا تعطي أهمية لما يقولـه قلبك . لا تضيعي حياتك . استفيدي منهـا إلى أقصى مدى ــ تمتعي بها ــ إنه ميت ولا يمكن تغيير هذه الحقيقة . نعم ، لو كان حياً .... »

« نعم ، لو كان حياً لأراكم بكل تأكيد أياماً أفضل . أنا أعرفه بديونـه . بعد الزواج كنا سنذهب لدفع كل روبية ... »

« هراء ! سوف لن آخذ مالك مطلقاً . » وفجأة ، كما لو كان فاقداً توازنه ، طفق الرجل يقوم بإيماءات عنيفة بيديه وأصبح حديثه مفككاً .

أرعب المنظر إيرواتي وأفقدها صوابها وكل دقيقة كانت تمر كان يصبح من الصعب أكثر فأكثر بالنسبة إليها ألا تبكي . ولأول مرة بعد ذلك سمعت صوت المرأة العجوز :

« ماندا ، ضعي الكمكم(٨) على جبهة الفتاة ودعيها تذهب ... »

سحابة ذلك النهار بأكمله ، ومن غير لقمة طعام ، كانت تنتقل إيرواتي من مريض الى مريض . كان العمل ضرورة لتخدير الألم الناتج عن الصدمة . وعندما رجعت إلى البيت كان قد تأخر الوقت . كانت عمتها تنتظرها على الشرفة . نظرت ايرواتي بدهشة الى الفتاة التي كانت تقف الى جوار عمتها . كانت ماندا .

اندفعت إيرواتي نحو الفتاة التي كانت تبكي بعنف : « ما الخطب يا ماندا ؟ ما الخطب . » سألت ايرواتي بنفاذ صبر .

بين نشيج ونحيب قالت الفتاة : « لقد خسرنا كل ممتلكاتنا يا ڤاهني (٩) وسلب الاقطاعي أشياءنا . ماذا سنفعل الآن ؟ لقد فر ماكوندا سراً واستخفى . امي لم تقل كلمــة وابي يثرثر كرجـل مجنون . اوه يا ڤـاهني . ، مـاذا سنفعل الآن من فضلك ساعدينا . »

لقد نادتها الفتاة الصغيرة بڤاهني . وبعنيين مغرورقتين بالدموع عـانقت إيرواتي الفتاة بيد ومسحت بالاخرى الكمكم ! الم تكن أرملة ، فأي حق تملكـه في الشارة الحمراء اذن وكشمعة تحترق متألقة في انتهائها شعت إيرواتي الآن ضوءاً جديداً .

وعندما عادت إيرواتي والفتاة الصغيرة الى بيت اڤيناش وجدا الرجـل العجوز هادئاً والمراة العجوز تجمع بعض الممتلكات القليلة التافهة على نحو محزن . القت إيرواتي نفسها ساجدة عند قدمي المراة وتوسلت قائلة :

---

(٨) الكمكم : الشارة الحمراء التي توضع على جبهة المراة المتزوجة من الهنود .

(٩) ڤاهني كلمة هندية تعني زوجة الاخ .

« اصغــي ، اصغي إلي . اقبليني كأرملة لابنكــم الميت ! ولكن من فضلك دعيني أساعدكم ... » وطفقت إيرواتي تبكي بصوت مرتفع كالطفل ولكن الرجل العجوز لم يلاحظ حزنها ولا المرأة العجوز . الصغيرة ماندا فقط كانت تحدق بها والخوف بعينيها . وفجأة استلقى جسدها غير الواعي على الارض كومــة واحدة . ومع ذلك لم يتحرك الزوجان العجوزان ليساعداها . الطفلة الصغيرة ماندا فقط خرجت مسرعة لتحضر عمة ايرواتي .

عندما كنت أرعى الإوز

قصة : تيري هورڤات　　ترجمة : أمل نظام الدين

حيـاة الكاتبـة

لم يكن لها من العمر إلا تسع سنوات عندما مثلت أول دور لها في مسرحية « الأم الصغيرة وحكاياتها » • كان ذلك في تامازي ، القرية التي ولدت فيها •

!اندراس جاسزيه أول من اكتشف مواهبها في الكوميديا وابن أخ ماري جاسزيه كان يقول عنهـا انها سارا برنارد بودابست •

أساتذة المعهد العالي للفن المسرحي وجدوا فيها ، أثناء امتحانات القبول ، جان دارك مستقبلية للمسرح الهنغاري •

كانت ما تزال تلميذة في الصف الرابع الابتدائي حين حملت لقب أفضل ممثلة بأدائها دوراً في تمثيلية « الخروج من الضيق » ، للكاتب ايمر ساركادي • والى جانب أنها كانت تعيش دورها كانت كفاءتها تميز فنها الناضج •

ولكي نكون أكثر فهماً لطريقتها في الحيـاة وشخصيتها • إليكم هـذه الحادثة التي يعود تاريخها الى سنواتها الدراسية في الكونسرفاتوار • ذلك أن احدى صديقاتها كانت تعلق على الوشاح الذي اعتادت أن تغطي به رأسـها

وظلت تقول لها : « اذا استمررت في ارتداء الزي الفلاحي ، لن تصبحي أبداً ممثلة كبيرة » لكن تيري بدت عنيدة ، ربما كي تثبت أنه كان من الممكن أن تصبح ممثلة كبيرة حتى مع وشاح حول الرأس • من جهة أخرى ظلت مخلصة للقماش المربع الذي ترتديه دائماً بعناية وتقدير فذ • وظلت تحسن عقد الوشاح • منذ بضع سنوات أجرى معها فريق من التلفزيون لقاء ، وبناء على طلب المقدم ، أخذت تعرض طرقاً مختلفة لوضع الوشاح ، وهي تبين كيف تفعل ذلك الفلاحات عندما يذهبن للعمل ، أو الى الحقل ، أو الى الرقص ، أو عندما يرتدين لباس الحزن • قدمت تيري هورفات لمشاهدي الشاشة الصغيرة سلسلة واسعة من ضروب المشاعر المتمايزة بدءاً من الألم حتى الفرح • من التعب حتى النضارة ، من الشباب حتى الشيخوخة ، من القباحة حتى الجمال ، وكان ذلك فوزاً قومياً لم يحتج الأمر معه الا الى عرض عدد من الشملات •

لم يكن لتيري هورفات شيء من الممثلة النجمة بالمعنى المتعارف عليه للكلمة وهي لم تدع قط أنها ستلمع بطرق هي قادرة على أن تلجأ اليها • ففنها هو الذي أمّن لها الشهرة • هذه بضع من أعمالها المبتكرة التي لاتنسى• وألمعها « جان المقدسة » لشاو ، شخصية سونيا في « الجريمة والعقاب » لدوستويفسكي ، دور تيلتيل في « العصفور الأزرق » لماتير لينك ، ودور هانكا في « الفلاحون » لريمون • ولها أيضاً عدة أعمال متعددة في ماضيها الفني لمؤلفين مسرحيين مجريين •

تيري هورفات الحائزة على جائزة كوسوت والتي تحمل لقب أفضل ممثلة

متميزة لجمهورية المجر الشعبية • حصلت مرتين على جائزة ماري جاسزيه (الفن المسرحي) من الدرجة الاولى ، وكذلك مرتين على جائزة النقد في فرقة الأداء النسوي المخصصة لأفضل انتاج للممثل في تمثيليات الراديو السنوية •

بأية أدوار تحلم ؟ في هـذا الباب لديها لذلك آراء مبتكرة • انها لا تحب الدروب المعبدة • ولكي تبتدع شخصية جان دارك لم تشأ أن تتخذ أي نموذج خوفاً من أن تقع تحت أي تأثير • هيأت شخصياتها وحدها • الأدوار التي تحلم بها هي الأدوار التي لم يؤدها أحد من قبلها • سواء كانت أدواراً كلاسيكية أو حديثة ، المهم أن تكون انسانية على نحو عالمي •

هذه الخاصية الانسانية بعمق، هي التي تكون أساس فن تيري هورفات•• الكلمة الانسانية التي ترن بصفاء ووضوح والفكرة التي تدفع بالانسان الى الأمام • من أجل هذا عكفت تيري على الكتابة ، وهذا ما يجعل كتاباتها مشبعة بالذاتية الى حد كبير •

القصة

أول عهدي بالأمر أراه كأنما من ثقب الباب بعيداً جداً في الماضي • كان أبي بواقاً في جوقة رجال الاطفاء في القرية • في يوم السبت المقدس لمعت أمي بوقه النحاسي وحضرت له قميصاً أبيض ارتداه بعد أن أخذ حماماً كما ينبغي ، وذهب على دراجته ، أما أنا ، فقد جلست خلفه على حاملة الأمتعة وتعلقت بعنقه • كان عمري يومها خمسة أعوام • أذكر جيداً عنق أبي الشاب الذي كنت أتشبث به بقوة خشية أن أقع • هو ، كان يمسك بمهارة • المقود بيد ، وباليد الاخرى البوق الذي كان ينفخ فيه • كان يصدر صوتاً قوياً

كأنه جوقة كاملة ، لكن اللحن كان مرحاً • كنت أعلم أشياء كثيرة عن أنغـام البوق هـذه • ولكن عندما كان يعزف بعنف ، كان الأمر يختلف ، فقد كانت تخيفني ارتجاجاته حينئذ ، كان بوق والدي يبـدو وكأنه يصرخ : الحقـول تشتعل ••• ، تشـ •• شتعل ••• ، بالنـ •• نار •• ، بالنـ •• نار •• الجميع•••

ظهر ذلك السبت المقدس ، قبل النشور تماماً ، كان صوت بوق والدي النحاسي البراق رائعاً بوجه خاص • من أجل ذلك اللحن الجميل ، ألفت كلمات كنت أرددها بيني وبين نفسي • إنه العيد في القرية ترا ترارا ترا ترارارا ••• كنا نتوقف عنـد كل عطفة طريق وكان أبي يوزع أوراقاً بيضاء • كان يقـرأ بأعلى صوته الحروف السوداء التي كانت فوقها : رجـال الاطفاء يدعونكم ، يوم الاثنين في عيد الفصح بعد أداء الصلوات ، الى عرض مسرحي يتبعه حفلة راقصة في المدرسة ••• ثمن التذكرة كذا ••• أخذت الفتيات والنساء الشابات في انتزاع البطاقات بلهفـة من يدي أبي • القرية بأكملها بدت لي مسرورة • سـوف تكون حفـلة كبيرة غـداً ، بعـد غـد • سـوف تعزف الموسيقى وتُمثل الكوميديـا •••

وأتى ذلك المساء ، مساء الاثنين من عيد الفصح الذي قرر مصيري كله • سأقول في الحال كيف حدث هذا • تلقى والدي دعوة من رجال الاطفاء تصلح أيضاً بطاقة دخول لشخصين • نعـم ، لكننا كنا خمسة أطفال وأمي المسكينة لم يكن لديها المال من أجل كل هـذا الحشد • لذلك ، ذهبنا ، نحن الاطفال الصغار الى السرير ونحن نبكي من الغيظ لعدم تمكننا من الذهاب الى المسرح•

ـ « كفوا عن البكاء ، يا صغاري » قال لنا والدنا مازحاً من أجـل أن

يهون علينا ، « مساء الغد سوف نمثل هنا في المنزل مسرحية أكبر من مستودع الحصيد .

ذهب والدانا ، وبقينا نحن نشهق تحت اللحاف . وكان أول من تكلم « فينس » أخونا البكـــر :

ـ « لكن ، المسألة ليست معقدة ، سننهض ونذهب الى الاحتفال بالخفاء . نسترق النظر الى العرض ولا يعلم أحد بشيء » . سرعان ما حيكت مؤامرتنا وتوارينا في الحال على رؤوس أصابعنا . أنا نسيت حتى أن أنتعل حــذائي . كنت مدفوعة تماماً بالرغبة في رؤية شيء رائع . كنا نحث الخطا في الظـــلام ، نحن الخمسة ، ثلاثة صبيان وبنتان بين الواحد والآخر سنة واحدة بعــد أن ارتدينا أسمالنا على عجل هرعنا في سرعة البرق . كانت أقدامي الحافية تطقطق على الطريق . ماذا لو أنهم بدؤوا العرض من دوننا ... وصلنا الى المكـــان المحدد . أمام الصالة ، كان الممر مزدحماً بالناس ، رجــال ينتظرون . تسللت من بين الرجال الكبار حتى باب الصالة . كانت مغلقـــة . ارتفعت على رؤوس أصابعي كي أنظـــر من ثقب الباب . رأيت أنواراً ، كم كانت جميلة ! كانت أنواراً حمراء ، صفراء وزرقاء . خيم الصمت . انتظرت ، وأنا أحبس أنفاسي كي لا أبدد الوهم . ثم اخترق أذني صوت صاف وجميل لفتاة شابة . كانت تغني : فناء بيتي ، فناء بيتي الجميل ، يداي ضعيفتان جــداً ... كان هـــذا صوت روزي فينوم التي كان يشاركها في الحوار ساندور غوندور : « التمعي ، أيتها النجوم الجميلة ، التمعي بأشعة جميلة ، لكي أجــد طريقي ، أنا الصبي المسكين » ... كنت كلي آذاناً صاغية ، كانت تلك الأصوات الجذابة تخترق

روحي • لحسن الحظ وصل أحد المتأخرين يملك بطاقة دخول • فتح الباب السحري وبلمحة بصر ، وجدت نفسي في الصالة ، كانت تعج بالناس • كان المتفرجون يتزاحمون ، يقف واحدهم الى جانب الآخر لكثرتهم • راقبت المشهد من تحت يد سيد كان يقف أمامي • كنت أرتجف من شدة التأثر والفرح وأنا أقف على رؤوس أصابعي • لكن كل ما كنت أقوم به هو الاستماع فما كنت أرى شيئاً ، اذ كان هناك الكثير من الناس • طلبت من السيد الطيب أن يرفعني كي أرى • ما عدت أذكر اسمه لكني ما زلت أذكر جيداً ذراعيه القويتين اللتين أمسكتا بي حتى نهاية المشهد • كنت أتفرج كالمسحورة دون رفة جفن واحدة حتى اني لم أدرك النهاية ، كنت قادرة على البقاء حتى الصباح لو أنهم تركوني أفعل •

ثم اجتمعنا نحن الخمسة ، وفررنا تجاه المنزل • ما أن وصلنا ، حتى أصبحنا داخل السرير • وعندما عاد والدانا كنا تتظاهر ، على طريقة الممثلين ، أننا ننام نوماً عميقاً • منذ ذلك اليوم ، ما عدت مثل قبل • شيء رائع كان قد جاء يسكن في داخلي • هذا الشيء كان أعجوبة التمثيل ، أضواءه ، وأصواته • كنت أقود قطيعي الصغير من الإوز الأصفر الى البرية و ، ما أن حللت في مكاني المعتاد تحت الدغل حتى أخذت في الغناء : التمعي ، أيتها النجوم الجميلة ، التمعي ••• لم أتوقف عن الغناء • كانت الشمس محرقة لكن بالنسبة لي كانت النجوم هي التي تلمع في رائعة النهار • هكذا اذن اكتشفت لذة الغناء وأنا ما أزال صغيرة جداً • إن الغناء يفتح أبواب الروح بشكل لا يقدر عليه الحديث ولا الكتابة ولا الرسم • هذا شيء لا يمكننا أن

ندركه إلا بالاحساس ، هـذا الانفجار من الفرح أو الحزن ، لا يهم ، شـيء يعيش في داخلنا . منـذ ذلك الحين لم يمض علي يوم دون أن أغني . أغني لأني في مزاج حسن ، وأغني لأني حزينة . هذه الرغبة في الغناء ظلت معي حتى هـذا اليوم . شكراً لك يا إلهي ! بالنسبة لي كل كلمة لها أغنيتها : الشمس ، الأرض ، النجوم ، الخـير ، السعادة ، الحياة ، الموت ، الرقـة ، المـرارة ، الوطن ... كلمات الأغـاني الشعبية هي الشعر الخالص . إنها تعطي لكـل واحد ما تحتاج إليه الروح تماماً . الغناء يعبر عن رغباتنا ، الغناء يحررنا .

كنت هناك أتأرجح على غصن أخير من شجرة حور مقتلعة . كان غصن الذروة رفيعاً ولكنه قوي بعض الشيء بحيث يستطيع أن يطير جسدي الصغير النحيل الذي كان قد تسلقه راكباً ، كانت شجرة الحور تجفف أوراقها نصف ميتة ، لا تنتمي الى الأرض إلا بجذر واحد ضخم . موت شجرة الحور أوحت لي بهـذه الأغنية : أترى يا قلبي هذه الحورة اليابسة ، هذه الحورة المقتلعة ؟ عندما تخضر من جديد سأكون لك ... كانت الساعات الأولى من النهار وكنت وحدي على الشجرة المنقلبة . أستعيد رؤية المشهد كلما أغمضت عيني . على كل حـال كانت الشمس تسطع . وكانت الأضواء الباهرة تشدني الى عـالم من الوهم . أخذت أتأرجح بمرح أكثر وأطير دائماً الى الأعلى . قطـع علي حلمي صوت امرأة عجـوز :

ـ « ستقعين يا صغـيرة ! »

صوت الواقع جعلني أخاف فصرخت . رأيت الأم فيرا فوروس ، وهي تحمل سلة على رأسها . كان الأطفال يقولون عنها . انها ساحرة .

ـ « انزلي ، يا صغيرة ، وإلا وقعت » • قالت لي بصوتها الحاد الصغير • لكني كنت أصعـد دائماً وطرف الغصن ما يزال يتأرجح • رأيت ثالول الأم فيرا فوروس وقلت لهـا :

ـ « لن أنزل لأنك ستسحرينني ، أعرف أنك ساحرة » •

عندئذ وضعت الأم فيرا سلتها عند ساق الشجرة الضخمة وبدأت الدموع تهطل من عينيها الذابلتين • قالت لي :

ـ « يجب ألا تخافي مني يا صغيرتي • الناس سيئون • عندما تتقدم بنا السن نصبح قبيحين • ننفرد بأنفسنا نعود لا نملك شروى نقير • امرأة عجوز ، هـذا شيء يتجنبه جميـع الناس يعاملونها كساحرة لأن كبر السن قبيح ، يا صغيرتي • انني لا أؤذي أحداً • الحياة هي التي تؤذيني •

كانت الأم فيرا تتكلم بهـدوء ، وكل كلمة كانت تسبب لها ألمـاً • دون إدراك مني ، توقف تأرجحي ووجدت نفسي جالسة الى جوارها عند جـذع الشجرة المنقلبة • منذئذ عدت لا أخاف من أي كائن حي • الأفكار وحـدها والموت كانت ترعبني • رافقت الأم السيئة فيرا بعيداً جـداً ، وأنا أساعدها في حمل السلة المليئة بالبيض • ثم وضعتها ثانية على رأسها •

ـ « ليباركك الله يا بنيتي ! »

دهشة جـديدة ولدت في نفسي • كان شيئاً مثـيراً أن نرى الأشخاص يختلفون في حقيقتهم عما يسرد عنهم • منـذ ذلك اليوم اعتدت أن أصطحب كل امرأة عجوز وحيدة • وكنت ألقي عليهن التحية من بعيد •

ـ « كم أنت لطيفة يا صغـيرة • ابنة من تكونين ؟ »

ـ « ابنة فينس الاسكافي ، الرجـل الذي يعزف على البوق في حفـل القـرية • »

كابوفار ••• بماذا يذكرني هـذا الاسم ؟ أول ظهور لي على المسرح في تامازي ، في قريتي ، في المدرسة • لم أكن سوى بنية كبيرة بين مجموعـة الناس الراشدين والفتيات الشابات • الله وحده يعلم ، لماذا أسندوا إلي ، أنا الفتاة الشقراء دور الغجرية ، البصارة ، ما زلت أذكر تنبؤاتي :

ـ « سوف يأتي شاب جميل الطلعة ليطلب يدك ، ليأخذني الشيطان إذا كان هـذا غـير صحيح •••

ولو أن أحداً أيقظني في الليل لأسمعته دوري لكثرة ما حفظت كل حرف فيه • لكني كنتُ أشعر أيضاً بالحيرة : من أين أؤمن ثياب الغجرية ؟ في تخيلي ، كنت أرى جيداً ماكان يلزمني : تنورة حمراء ، بلوزة صفراء مزخرفة عـلى الطريقـة التركية ذات أصباغ خضراء وعلى الرأس خمـار من الكشمير ذو حواشٍ معقود بفتوة علـى الطرف تحت الاذن • ومن نافلة القـول غوازٍ مصنوعة من قطع النحاس • كانت هـذه أهم الأشياء في اللباس • لا حاجة للحذاء ، فالغجرية تمشي دائماً حافية وتحمل على ظهرها صرة وكأن طفلهـا بداخله ، لاتوجد مشكلة : سوف أضع كمية من العشب في قطعة قماش معقودة • كان الناس في قريتي فقـراء • وكانت موضة التنانير المتعددة قـد توارت • أفضيت بقلقي لصديقتي باني التي سرعان ما لطمت جبينها بيدهـا الصغيرة الطرية • حملقت فيّ وفتحت فمها الصغير حتى آخره لتصرخ قائلة :

ـ « نحن عندنا أقارب في كابوفار ما يزالون يرتدون التنانير المتعددة . ما علينا إلا أن نذهب الى هناك ، المسافة ١٤ كيلو متراً ذهاباً وإياباً ، شيء لا قيمة له . ذهبنا اذن من تامازي حتى كابوفار بمحاذاة منحدر سكة الحديد . كان هذا قبل أعياد الفصح تماماً . والطقس لطيف . انطلقنا بمرح في الطريق بعد الغداء . كنا نسرع الخطا في الحقول المخضرة . بعد وقت اضطررنا للسير حافيتين لأن أحذية العيد كانت تسبب لنا ألماً . كانت هذه أول مرة ، منذ العام الفائت ، أشعر فيها بملمس العشب النضر تحت راحتي قدمي الحافيتين ، كانت الأرض رطبة . حتى هذا الوقت أحب أن ألمس الأرض بقدمي الحافيتين ، بالنسبة لي هذه نشوة لا تقارن .

آخيراً وصلنا . كان أقارب صديقتي يقيمون في منزل صغير من اللبن له نوافذ صغيرة يقع عند سفح قصر كابوفار . دخلنا وألقينا التحية كما يجب أن نفعل . ما ان شرحنا سبب الزيارة حتى دخلت السيدة في الحال أول غرفة في المنزل . كانوا أناساً على قدر من المودة كبير . تبعنا السيدة الشابة التي فتحت أحد أدراج الصوان . رأينا في الداخل ، باني وأنا ، تنورة جميلة مطوية بعناية معقودة بشرائط من طرفيها ، تناولتها السيدة بحذر ، فكّت الشرائط وألصقت التنورة على خصري . الطول كان جيداً أما محيط الخصر فكان عريضاً بعض الشيء . لا بأس ، سنأخذها . كما وجدت لي خماراً أخضر ذا حواش مثلما تخيلته ، ثم قميصاً أصفر . ضممت هذه الكنوز الى صدري :

ـ أتعيرينني كل هذا ؟

ـ نعم بالتأكيد ، فقط اعتني بها جيداً ، يا صغيرة ولا تنسي أن تعيديها

لكي أرتديها يوم الأحد القادم لأنني لا أملك سوى هذا الثوب من أجل العيد •

ـ « بالطبع سأعتني بهـا ، وكيف لا ! وشكراً جزيلاً » •

غادرت المكان وأنا أضع كنزي على ذراعي كانت أعز علي من بؤبؤ عيني •

في المساء ، في المنزل ، أغلقت على نفسي باب الغرفـة • جربت الثوب بفرح جنوني ، التنورة الحمراء ، القميص الأصفر الذي عقدت أسفله بحيث تكون العقدة عن جانب • أخذت في التبختر أمـام المرآة • صنعت لنفسي في الحـال حلقـاً من قطع صغيرة صفراء وأخفيت شعري الأشقر تحت الخمـار المبرقش • عكست لي المرآة الضحكة الطليقة الغجرية • هـذا ليس معقولا ، هـذه التي في المرآة ليست أنـا !

ثم خرجت لأقوم بالتدريب مع اخوتي ، نوع من تجريب الثياب قبـل البدء اذا كان الأمر يتعلق بالتمثيل • أذهلهم تبدلي • أمسكت بيد أخي لأخبره بالمغامرة الجميلة : « بعد حين ستمنون بضربة شديدة في هذا المنزل ••• » • وسددت له ضربة قوية على ظهـره • ضحكنا كثيراً في تلك الليلة ، حتي أمي لم تكف عن القـول :

ـ هـذه الفتاة الملعونة ، ما عسى أن يحدث لهـا ؟

لم أتعب فكري أكثر من أجل عرض الغـد • أخذت شهرة كبيرة تحدثت عنها كل القرية • ولفترة طويلة بعدها ظل الاطفـال يصرخون كلما التقوا بي في الطريق بأقوال الفتاة الغجرية • ما كنت أعلم أبداً معناها ، على كل حـال ، أفلتت مني في الوقت الحاضر • ربما كلام بذيء ، أو شتائم ، من يدري ؟

كانت أمي تنظف الغسيل في الساحة • وأعياد الفصح قد مضت لكن نساء القرية لم ينسين تماماً دوري • ها هي الأم بانا لوكا ، تمر من هناك وتنادي أمي من فوق السور : « هيي ، ماريا ، كم كان أداء ابنتك الوسطى جيداً في العرض ! كانت غجرية حقيقية حتى اني كدت أقسم انها ابنة غجري •

ـ « هذه البنت الملعونة ، ستسبب لي المتاعب » ، هكذا قالت أمي وهي تضحك ، ثم أخفت وجهها خلف ذراعها بينما كانت تتساقط من أطراف أصابعها في الدلو قطرات المياه وفقاعات الصابون • ثم وخلال وقت غير قصير كان يسمع صوت ضحكها المغرد •

كنت أستمع الى الحديث الذي يدور بين السيدتين وأنا مختبئة خلف باب القبو • كان ذلك يسعدني حتى اني كنت أشعر بالخجل وقلبي يضطرب تأثراً ودمي يرتد ملتهباً من أطراف قدمي حتى أذني • كنت أصغر من أن يرى أحد فرحتي الهائلة وأنا جاثمة خلف عضادة الباب أضغط يدي على صدري كي لا أطير من فرط السعادة • لماذا كنت سعيدة الى هذا الحد ؟ لأني أخيراً أصبحت أعرف شيئاً ما ، كنت سعيدة لأنني أعرف أمثل • كنت أضغط على قلبي بكل قوتي وأنا مقرفصة وأشعر بالاختناق من الفرح • لم يكن أحد قادراً على أن يأخذه مني ، لا أحد •••

❋ ❋ ❋

أخبار ثقافية من العالم

اعداد : ا . ج

تشيلي

● **الأدب في المنفى يناضل**

« الأدب التشيلي في المنفى » هكـذا سمى رجـال الثقافـة والأدب التشيليون مجلتهم الفصلية . وهم من أولئك الذين اجبروا على ترك وطنهم بعد الإنقلاب الدموي الفاشي في أيلول ١٩٧٣ .

يقـود المجلـة الكاتب الإجتماعي فيرناندوا أليجيريـا . ويشارك في في هيئة تحريرهـا من الادباء التشيليين المعروفين : خايمي كونجا ، نيلسون آرسوريو ، غليرموارايا ، خوان آرمانودا ابيبلي .

في إفتتاحية العدد الأول من المجلة حددت هيئة التحرير هدفها ووظيفتها ،

وكشفت عن الدور الذي هي مدعوة للقيام بـه ، والذي ينطلـق من روح الوحدة التامة للقوى الوطنية . ولقد ذكرت مجلة « كاسادي لاس امريكاس » الصادرة في « هافانا » بعضا مما في الافتتاحية :

في أوضاع الإدارة العسكرية في تشيلي ، لا يمكن أن تكون ، هناك ، حرية للتفكير ، ولا امكانية للجهر بها . لقـد توقفت الادارات التعليمية في البلاد ،عن كونها مراكز للثقافة ، حيث تحولت الى منظمـات تقوم بالتدريب العسكري الشاق . وهيئـات للترويض السياسي . وكل ذلك من أجل أن يُعترف بممثلي الطغمة العسكرية ، ولتجهيز جيل يحقق مصالح الحكومـة الحالية ، ويكون مطيعاً لنظامهـا الحديدي . وفي ظـل الترتيبات المعادية للديمقراطية ، بدأت الهجرة الجماعية من تشيلي ، والتي شملت فيما شملت رجال ثقافة ، علماء ، كتابـاً ، في محاولتهم البحث عـن امكانيـة الحريـة وضمانها ،وتوفير المناخ لنشاطهم الإبداعي .

إن الصلة الدائمة بين ممثلي الثقافة في المنفى ، ونشر نتاجهم ، والدعاية له ، هي مهمتهما التي لا تقبل التأجيـل .

إن مجلتنا تضع أمام نفسهـا مهمة تنفيذ هـذا الهدف ، في مجالات الأدب ، وعلم الأدب . وبالإضافة الى ذلك ، سنظل نسعى الى توطيد علاقتنا الشاملة ، وبجميع الوسائل الممكنة ، مع الكتاب التقدميين في جميع أنحـاء العالم . » والجدير بالذكر ، أن لجنة مساندة دولية قـد شكلت بدعوة من كتاب امريكـا اللاتينية التقدميين . ويرأسها ، الآن ، الكاتب الكولومبي

المعروف « غابريل غارسيا ماركيز » (ترجمت مؤخراً الى العربية رائعته « مائة عام من العزلـة » وصدرت عن « دار الكلمـة » في بيروت . قام بالترجمة سامي وانعـام الجندي) ، وقد وافـق على الانضمام لهذه اللجنة كبار ادباء امريكا اللاتينية : ماريوبينيدتي ، ارنستو ساباتـو ، خوليـو كورتاسار ، إدوارد غاليانو ، ميغل سيلفا ، خوان رولغو وغيرهم .

انكلترا

● **اولدريج وهمنغواي وفيتزجرالد في رواية .**

صدر للكاتب الانكليزي التقدمي المعروف جيمس أولدريج رواية تحمل عنوان « نظرة واحدة أخيرة » وقد قوبلت هذه الرواية بإستحسانٍ بالغ . والطريف ان ابطال عمل أولدريج الأخير هم : ارنست همنغواي ، وسكوت فيتزجرالد في شبابهما . والكاتب يحاول « كشف جذور صداقتهما الوطيدة . وتحليل ماهية علاقتهما . » على حد تعبير الكاتب نفسه .

والمعروف عن أولدريج موقفه التعاضدي الدائم مع الشعوب الفقيرة ، ومساندته لنضال الشعب العربي ضد الاستغلال والاحتلال . وقد احتفلت

الأوساط الثقافيـــة التقدمية في انكلترا في تموز الماضي باليوبيـــل الستيني لأوندريج الكاتب، والمؤرخ، والمناضل الاجتماعي •

ولد أولدريج في مقاطعة فيكتوريا الاسترالية، في مدينة وايت ـ هيلس• لأبٍ يعمل محرراً في جريدة محلية • درس في كلية ميليورفسك، وواظب على الدراسة في جامعة لندن •

عمل مدة طويلة مراسلاً عسكرياً بحيث، اتيحت له زيارة العديد من البلدان • وأعطته مهنته منحة أن يكون من الشاهدين على سقوط الفاشية الألمانية في عام ١٩٤٥ •

لقد جاء أولدريج الى الرواية عبر التحقيقات والريبورتاجات الحربية • كتب أول رواياته « قضية شرف » عام ١٩٤٢ • وهي عن نضال الشعب اليوناني ضد الفاشية الهتلرية المعتدية • ولم يتوقف عن تطوير موضوعاته هذه حيث واصلها في روايته « النسـر البحري » عام ١٩٤٤ • وفي عام ١٩٤٩ أصدر أولدريج روايته الثالثة « الدبلوماسي » • والتي قدم من خلالهـا تقويمه وتثمينه لنضال الشعوب من أجل حفظ السلام والحريـة • وبهذه الرواية أصبح أولدريج من الأدباء الحائزين على مدالية السلام الذهبية، التي تحمل اسم « لينين » •

ان ابطال أولدريج يتصفون بالرجولة، وبالنضال من أجل العدالـة القومية والاجتماعيـة ويلاحظ القارىء أن مؤلفاته مثل : « الصيـاد »،

« بطل الآفاق الصحراوية » ، « لا أريد له الموت » ، « ابن الأرض الغريبة » وأخيراً « الجبال والأسلحة » مكرسة لحركة التحرر الوطنية في الشرق الأوسط .

إن جيمس أولدريج الكاتب المناضل ، وصديق شعبنا ومناصر حقوقه ، يستحق منا تحية تقدير بمناسبة يوبيله الستيني . تحية متأخرة ، ولكنها من القلب .

الاتحاد السوفييتي

- **فلسطين موضوعة « أفول القمر » رواية عليم كيشوكوف .**

صدر عن دار نشر « الكاتب السوفييتي » رواية لعليم كيشوكوف تحمل عنواناً رومانتيكياً « أفول القمر » . وهي تجعل من نضال الشعب العربي الفلسطيني ، موضوعاً لحوادثها التي تجري في إحدى الدول العربية . وعلى الرغم من بعض المفاهيم المغلوطة والساذجة ، والتي تغطي مساحات غير صغيرة من الرواية كالمواقف الثانوية في قضايا الصراع الاجتماعي والسياسي لجماهير الشعب الفلسطيني ، والتي يجعل منها المؤلف خطوطاً رئيسية في قنوات الرواية فإن الرواية تظل اهتماماً جاداً بمشاكل الأمة العربية في صراعها

مع قوى العدوان • وتكمل ـ كما يرى الناقدان لازيز بولاتوف وطالعات صاليحوف • مجلة « صداقة الشعوب » • العدد (٤) ١٩٧٩ ـ أفضـل تقاليد أولئك الكتاب الذين اهتموا بقضايا الشرق الأجنبي أمثال : نيكولاي تيخونوف ، ميرزاطورسون ـ زاده ، آيبيك ، وميرزا ابراهموف •

الرواية تتحدث عن مصير الفتاة الفلسطينية فريدة البياتي في صراعهـا مع والدهـا الذي يحاول الثراء عن طريق تزويجها القسـري ، وأخـذ المهر الذي يمكنه من تحقيق حلمه في إسعادها ! وعمر ـ والد فريدة ـ من ذلك النوع الذي يحلم ببلده المغتصب ، ولكنه ـ كما يرى المؤلف ـ لا يناضل في سبيل استرجاعـه • إن « طيور السعادة » التي كان يحلم برؤيتها الوالد تحوم حول ابنته لم تأت • لأن فريدة هربت من بيت عريسها ، وتحت تأثير أفكار المعلم والشاعر شوكت ، وهي أفكار تدعـو للتحرر وعدم الخضوع لضيق العقل ، والجمود الاجتماعي • وينتهي الأمر بفريدة في السجن ، بعد أن يحكم عليها القاضي اسماعيل بحكمه الجائر ، وهو الذي يرى في المرأة نقطة الآثام الممكنة وغير الممكنـة •

إن الرواية ـ كما أرى ـ تتمثل الوضع اجتماعي في آسيا الوسطى قبل الثورة • وهي أوضاع تجاوزها المجتمع العربي ، وخصوصاً الشعب العربي الفلسطيني • وبدعوى التشابه في الخلفيات التاريخية يقع المؤلف في مطب اسقاط تجربة اجتماعية ، على ظروف مجتمع آخر لتصبح السذاجة مدخلاً لأمور نضالية معقدة • لأنني ، لا أظن ، أن دوافع احباط النضال ـ في حـال

وجودها ـ هي المهر والصراع بين فريدة ووالدها ، على ما لذلك من أهمية . فالقضايا أبعد من ذلك ، ومسار الحس الدرامي في قضايا الصراع العربي الاسرائيلي تحدد في معرفة طبيعة الصراع بين الإمبريالية والرجعية وأذيالها ، وبين حركة التحرر الوطني العربية (بإمكان القارىء مقارنة « أفول القمر » برواية يوري كليسنيكوف « أرض الميعاد ») .

إن عليم كيشوكوف يقف بثبات إلى جانب نصرة قضية الشعب العربي ، وروايته « أفول القمر » دليل واضح على اهتمامه بما يعاني الشعب العربي الفلسطيني في نضاله المشروع من أجل حقه . أما المواقف التي تظهر في الرواية مجزأة أحياناً ، وأحياناً أخرى لا تصل بالقارىء المطلع الى القناعـة ، فهي تحتاج لوقفة أخرى في مكانٍ لا يكتفي بالتعريف والعرض .

البرازيل

● **نيلسون بيرادوش سانتوش يخرج فيلما عن رواية لجورج امادو .**

قـام المخرج البرازيلي المعروف بيريرادوش سانتوش بتصوير فيلـم (« بسطة » الروائع) عن رواية لجورج امادو تحمل نفس الأسم .

« في وقت أفلمة رواية جورج امادو ـ يقول المخرج ـ حاولت خلق

أجواء في الفيلم ، ليست فقط ، تلك التي في الرواية • ولكنني حافظت ــ كما يقال ــ في الفيلم على نسيج القص في الروايـة • طبعاً ، كان لابد مـن التضحية ببعض المواقف والشخصيات • إلا أن شخصية بيدرو أركاناجو ، حدث الرواية الأساسي وقيمتها النضالية ، وبطلها الذي يقود وراءه الأفكار ، بقيت وبكاملها محفوظة في الفيلم » •

لقد عمل بيريرادوش سانتوش وقتاً طويلاً في الفيلم ، وبمشاركة جورج امادو ، حيث كتبا السيناريو معاً • « •• وإذا كان للفيلم من قيمة ــ يقـول المخرج ــ فهي ، قبل كل شيء ، تنحصر في أننا نريد ان يشعر المشاهد ، أثناء عرض الفيلم إنه ، فعلاً ، « بايا » » والبايا ــ عند مؤلف الفيلم ــ فرضيـة تشكل تاريخي لكل البرازيل •

إن رواية (« بسطة » الروائع) واحدة من أفضل ابداعـات الكاتب الكبـير •

الولايات المتحدة الامريكية

● **ثمانون عاما على ولادة ارنست همنغواي •**

احتفلت الأوساط الثقافية في العالم ، بالذكرى الثمانـين على ولادة

الكاتب الإنساني الكبير أرنست همنغواي . وبهذه المناسبة ، يحاول الأمريكيون المختصون جمع مقالاته وكتاباته التي لم تنشر . وفي الإتحاد السوفييتي ترجمت قصته الأولى « مياه الربيع » وصدرت عن مكتبة « أغنيوك » بمائة ألف نسخة (عن مقال للدكتور يا . زاسورسكي . لتيراتورنايا غازيتا . العدد ، ٢٥٠٣٠ أيلول ١٩٧٩) .

ولد أرنست همنغواي في ٢١ تموز عام ١٧٩٨ في مدينة أوك بارك ، النيوسي ، لوالدٍ يمتهن الطب . وفي عام ١٩١٧ تخرج من المدرسة ، لاليواصل دراسته الجامعية ، بل ليعمل في جريدة كنساس سيتي ستار . وليتركها ، أيضاً ، بعد بضعة أشهر الى أوربا ، متطوعاً كسائق عربة اسعاف ، ليصاب بجرحٍ على الجبهة في ايطاليا ، وليمنح وساماً فضياً (كان قد حصل قبلها على وسام صليب الحرب) . وبعد فترة النقاهة يغادر أوربا الى الشرق الأوسط كمراسل لصحيفة تورنتوستار . وفي باريس التي عاش بها سنيناً طويلة بعد الحرب ، يبدأ الكتابة ويتعرف على دوس باسوس ، وآل لنكلولن ستيفنسن ، ويرتبط بصداقة حميمة مع ازراباوند ، الذي يعتبره مع الآنسة شتاين من اساتذته . وليبدأ ، بعدها ، همنغواي حياته الأدبية ، التي غطت مساحة واسعة من التراث الأدبي الأمريكي :

« مياه الربيع » ، « موت في المساء » ، « في عصرنا » ، « وداعاً للسلاح » ، « ثلوج كلمنجارو » ، « الإله الرخامي » ، « لمن تقرع الأجراس » ، « روابي افريقيا الخضراء » ، « لمن تشرق الشمس » ، « الشيخ

والبحر » ، « حياة فرانسيس ماكومـير القصـيرة السعيدة » ، « الناس في الحـرب » ، « العمود الخامس والقصص الواحـدة والأربعون الأولى » وغيرهـا •

يقول الناقد م • كاولي (مقدمة الى همنغواي • ترجمة مصطفى عبود • الأديب المعاصر • العدد (٥) • تموز ١٩٧٣) ، « ••• لكن قصص همنغواي في معظمها تمتاز باستمراريتها ، بمعنى انه اعتاد الرجوع الى الموضوعات ذاتها ما نحاً إياها ، كل مرة وضوحاً أكبر ـ لنفسه ، كما للآخرين أيضاً • في اعماله ثمة تماسك عاطفي ، كما لو كانت محمولة على التيار نفسه » « في بداية ١٩٣٠ اضحى تكنيك همنغواي ، البسيط في بدايته ظاهرياً ، أكثر اتقاناً ، وبـدأ يتحدث عن امكانية كتابة ما أسماه البعد ـ الرابـع • يقول في (روابـي افريقيـا الخضراء) « ان الواقع الذي يكمن وراء تجنب الجميع له ، وانكار اهميته ، واظهار عبث تجربته هو صعوبته البالغة ، ذلك انه يقتضـي تركيب عناصر عديدة لكي يكون بالإمكان الوصول إليـه » •

والجديد بالذكر ، أن هناك ما يحتفل بهذه الذكرى على طريقته الخاصة ، لأن همنغواي العظيم ، بقدر ما يملك من المعجبين ، يملك من نقيضهم • ففي مقدمة الطبعة الجديدة ـ يكتب دكتور العلوم الأدبية يا • زاسورسكي ، في المقال المشار اليه آنفـاً ـ من « تاريخ الولايات المتحدة الأدبي » يحاول الناقد الأدبي الامريكي المعروف ايهاب حسن اثبات ان همنغواي في روايته المنشورة بعد موته « جزر في المحيط » ظل في الستينات كاتباً روماتيكياً كما كان عليه في العشرينات ، وأنـه في أواخـر حياته ـ حسب رأي الناقد ـ كان

مضطرباً يصارع الزمن ، ويخفق حتى في تصحيح المسودات التي لم تستسلم لذلك •

ان الناقد كما نرى ، لا يعجبه موالاة همنغواي لمواقفه الخاصة ورؤاه • لذا يبدو احتباس تقويمه لهمنغواي • ان الناقد يعكس الإتجاهات الأدبية التي رفضها همنغواي نفسه • وهي ان الأدب الأمريكي فيما بعد الحرب ، فقد الإحساس بوجود البطل الواقعي والشخصية الهادفة • لقد سادت المكارثية الإجتماعية في الولايات المتحدة في أواخر الأربعينات ، وأوائل الخمسينات • وأصبح الأدب تجارياً ، وانعكس ذلك في طوفان النثرية « الجماهيرية » المزيفة ، وتحت ستار الأدب الحقيقي • هذه الفترة جعلت الكثيرين من الأدباء الأمريكيين يشعرون بالخيبة ، لأنهم لم يروا في الواقع الحي شيئاً يقف ضد النزعة اللاإنسانية في المجتمع الرأسمالي • من هنا ، نرى شدة الحنين ـ وهذا ليس مصادفة ـ الى الشخصية الانسانية الحقة ، والإنسانية الأصلية ، تغطي انتاج أكثر الأدباء الأمريكان شهرة في الستينات والسبعينات أمثال : آبدايك ، هوللر ، فونيغوتا ، ستايرون ، غاردنر وأوتس •

ان روايات همنغواي أضافت دفقاً جديداً في شريان الرواية الإنسانية ، بكل التجارب الحية التي عاشها الكاتب متنقلاً في أرجاء العالم بحثاً عن الانسان ، هدفه في الكتابة والحياة •

« وباعتباري قارئاً ••• وجدت روايات همنغواي تفيض بالانسانية ، ففيها حياة ، وحب ، وموت ، وأفراح قصيرة ، وحروب طويلة •• وبعد

« اوليسيوس » لجيمس جويس ، « والمزيفون » لاندريه جيد ، بدت هذه الروايات وكأنها ترد الاعتبار للحياة ••

وباعتباري كاتباً •• ادهشتني مهارة همنغواي • اني أشعر بالرضى كلما استطعت أن أفهم كيف ألف كتاباً ، ولكنني لم استطع أن أفهم حتى اليوم كيف توصل همنغواي إلى قوة حواره •• » (إيليا إهرنبورغ • ارنست همنغواي • عن كتاب « الفنان في عصر العلم ، ومقالات أخرى • ترجمة فؤاد دواره • منشورات وزارة الاعلام العراقية • ١٩٧٧ • ص ٢١١)•

ان همنغواي يوصف في الأدب الأمريكي ، بأنه لم يطق الحرب ، والعدوان ، والكذب • لقد أحب الخير ، والشجاعة في الناس ، والكلمة • لذا فقد تحول أدبه من فن الوقائع والحقيقة الى فن حقيقة الحياة •

يظل همنغواي الكاتب الإنساني في ذاكرتنا ، وهو يطرق أبواب مسامعنا يدعو الإنسان فينا لتثمين وجوده •

* * *

صدر حديثاً

عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

أريدك أن تكوني

شعر — محمد مصطفى درويش

صدر حديثاً

عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

صباح محترق آخر

شعر — مروان صقر

يصدر قريباً

عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

عــدد خــاص مــن مجلــة

الآداب الأجنبية

عن الحركة الشعرية في العالم

وتتوجه المجلة الى الأساتذة المترجمين في القطر العربي السوري ، وفي الوطن العربي ، لموافاتها بترجمات وأبحاث ، حول هذا الموضوع .

محتوى العـدد

الموزعون

سورية : المؤسسة العامة للتوزيع ـ دمشق

الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

تونس : الشركة التونسية للتوزيع

الاردن : وكالة التوزيع الاردنية ــ رجاء العيسى

بقية الأقطار العربية: الشركة العربية للتوزيع ـ بيروت

الاشتراك السنوي

في الجمهورية العربية السورية :		في البلاد العربية :	
■ للأفراد	١٥ ل.س	■ البريد العادي	٢٤ ل.س
■ للدوائر الرسمية	٣٦ ل.س	■ البريد المسجل	٤٨ ل.س

تضاف تكاليف الطائرة في حالة الاشتراك بالبريد الجوي

الاشتراك يرسل حوالة بريدية أو شيكاً أو يدفع نقداً الى محاسب اتحاد الكتّاب العرب

سعر العدد

سورية	٣٠٠	ق.س	عدن	٦٠٠	فلس
لبنان	٣٠٠	ق.ل	السعودية	٦	ريالات
الكويت	٤٥٠	فلس	ليبيا	٢٧٥	درهم
ابو ظبي	٩	دراهم	تونس	٧٠٠	مليم
دبي	٩	دراهم	المغرب	١٠	دراهم
الخليج العربي	٩	دراهم	الجزائر	٦	دنانير
الاردن	٤٠٠	فلس	السودان	٧٥٠	مليم
قطر	٦	ريالات	العراق	٤٠٠	فلس
البحرين	٦٠٠	فلس	مصر	٥٠٠	مليم

طبع في مطبعة الكاتب العربي ــ بدمشق ــ هاتف ١١٩٧٣٨